الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور الطاهر مولاي ـ سعيدة

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية

تخصص دراسات أدبية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في الأدب العربي الموسومة بـــ :

الولي الصالح سيد الشيخ وأثره في التراث الشعبي بمنطقة البيض

عداد الطالبة

خنتر إيمان

تحت إشراف الأستاذ:

بن يمينة

السنة الجامعية: 1437- 1438ه/2016-2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر

الحمد لله تعالى رب العزة و الجلال الذي بنعمته تتم الصالحات و لك الحمد حمدا كثيرا مباركا يليق بجلال وجهك عظيم سلطانك أن توفقني لانجاز هذا العمل.

أتقدم بجزيل الشكر و الثناء الخالص و التقدير الى كل من ساعدني في انجاز هذا العمل المتواضع و أخص بالشكر الدكتور المشرف بن يمينة الذي أسأل الله ان يجازيه خير جزاء على صبره معي و بحسن تعامله معي و كرم أخلاقه و سعة صدره و توجيهاته السديدة.

و أتوجه بالشكر و العرفان الى جميع الأساتذة بقسم الأدب العربي و إلى كل الزملاء و من كانوا برفقتي طوال المشوار الدراسي.

و الى كل من ساهم و لو بالكلمة فله الشكر و التقدير و أسأل الله أن يرزقنا العلم النافع و يلهمنا العمل الصالح المقبول.

الإهداء

اهدي عملي المتواضع الى التي حملتني في بطنها خلقا من بعد خلق، ثم وضعتني ، و من نبع حنانها أرضعتني إلى والدتي العزيزة

الى أبي الذي رباني ، الى مثلي الأعلى في الإقتداء ودافعي في الحياة ، الى اخواتي و اخوتي.

الى جميع عائلة خنتر فردا فردا وعائلة بالرياح أيضا ، و عائلة غرابي خاصة ، الى أعز صديقاتي :

إيمان بالحاج ، أحلام شرفي ، ربيعة شريط و الى الغائبة عائشة نوار.

الى السيدان حمادي بحوص و عباس اللذان سهلا مهمتي .

الى كل من قدم لي يد المساعدة لنفض الغبار عن تراثنا الشعبي خاصة الى السيد معزوزي الحاج بوبكر مدير ملحقة الداخلية الابتدائية بالأبيض سيد الشيخ.

و الى جميع أهالي منطقة الأبيض سيدي الشيخ.

و الى كل اللذين تسكن محبتهم فؤادي.

مقدمة

المقـــدمـــــــة:

"بسم الله و الحمد لله ، و الصلاة و السلام على سيدنا رسول الله و على آله و صحبه و من والاه".

إن الله تعالى جلت عظمته خلق الخلائق و هو غني عن خلقهم لا لغاية إلا ما أشار اليها في كتابه العزيز: "و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون" (الذاريات 56) ، فالعبادة غاية الخلقة و التكوين و في حد ذاتها وسيلة للقرب الى الكمال المطلق و الذات الأحادية المتعالية و من هنا كان قوله عز من قائل في حديث قدسي:" كنت كنزا مخفيا فأحببت أن اعرفَ فخلقت الخلق كي أُعرفْ" ان الله سبحانه و تعالى لم يحجب الخلائق عن وجوب معرفته بل كلفوهم ذلك كل حسب قابليته و طاقته فإن أفهام الناس و عقولهم متفاوتة في قبول التصوف ، لأنه في الدرجة الأولى سلوك و هي نعمة يسبغها الله على من يشاء من عباده و بالتالي اطمئنان و سكينة " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون" (يونس 62) ، فكانت المعرفة و نهج التصوف وسيلة السالك الى الله في السير و السلوك الى حظيرة القدس و رياض الإنس و التخلص من علائق الدنيا و شوائبها و الدوام في جهاد النفس و مراقبتها و محاسبتها ثم التزين بزينة الأخلاق الفاضلة ، و السالك في سفره الى الله تعالى يحتاج الى مرشد ، وشيخ يأخذ بيده فيرشده الى الطريق المستقيم فخير دليل على الله نور الله الأعظم النبي الخاتم الهادي البشير و السراج المنير محمد عليه أزكى الصلاة و التسليم.

فبسمتنا شعب نعتز بإسلامنا و بعروبتنا فيجب ان نعتز ايضا بتراثنا فهو ماضينا وماضي أجدادنا الذي يثبت أقدامنا في عالم انتابته نوبة العولمة ، فحتى لا تقطع جذورنا و لا نتوه في هذا العالم و نصبح كريشة تتطاير ، يجب علينا ان نهتم بتراثنا فهو كنز لا يعرفه إلا من دخل مغاراته و لا يعرف حلاوته إلا من تذوق من أطباقه لكن رغم كل ما يحمله هذا التراث من روائع إلا ان شوائب كثيرة قد علقت به لأن عقيدة الأولياء الصالحين شيء به الروحانيات (المعتقدات) و بالتالي شيء به التصديق او التكذيب ، وهذا ما هيأ و فتح مجالا واسعا و شاسعا لنمو الاسطورة التي تسللت الى حقائق اَناس وضعوا هذا التاريخ و تركوا بصمات راسخة، لكنهم للأسف همشوا و شوهت حقيقة رسالتهم عن علم أو عن جهل فمنهم من قزم دور هؤلاء الناس و منهم من عظمهم و رفع شأنهم ، فاذا كان الطعم المناسب ، هو الذي يصطاد السمك كما يقولون ، فاننا قد أجزنا لأنفسنا مشروعية اختيار أحد أقطاب هذا التراث ألا و هو الولي الصالح الصوفي سيدي "عبد القادر بن محمد" المعروف بسيدي" الشيخ مجدد القرن العاشر الهجري ، مستودع أسرار السادة الشاذلية ، ومبدع أسوار الطريقة الشيخية ، طريقة السلف الأخيار ، الذين انتقوا كل العبادات و الأذكار ، من كتاب الله و سنة النبي المختار ، الطريقة المتصلة السند، بصاحب الوسيلة و بحر المدد ، القاسم أبي القاسم سيدنا محمد، عليه أزكى الصلاة و السلام طول المدد، سيدي الشيخ الذي سما بمحتسبي الصوفية لأنهم أنكروا كل ما خالف الطريقة المحمدية ، فبدأو بما بدأ الله به في حديث جبريل و هو الشريعة الاسلامية ثم سلكوا قارعة الطريقة الشيخية ، ليصلوا إلى أسرار الحقيقة الانسانية ، فحصلوا الاسلام ، ثم حققوا الايمان حتى تيقنوا بالاحسان فيكفي في قوة الطريقة الشيخية و تميزها أن نجد في سندها ، هذا الولي الصالح الذي هاجم كل رديء طالح و جاهد و كافح، أرضاه المولى عنا و اظهر له حسن العلم منا.

فمن هذا المنطلق تتبادر الى أذهاننا الاشكلية التالية:

*كيف تحول هذا الرجل من عبد القادر بن محمد الى لقب سيدي الشيخ؟

لأنه ليس من السهل ان يتحول شخص ما إلى رمز تحتفظ به القرون لمدة طويلة و تتداوله الاجيال و يُنحت في ذاكرة الشعوب و لا يندثر.

و للاجابة عن هذا التساؤل قد اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي، لأننا رأيناه الأنسب للوصول الى الاجابة الصحيحة المقنعة ، و لابد من أهم الاسباب التي جعلتنا نختار هذا الموضوع هو: شغفنا الكبير حول هاته المواضيع التي قل ما يلتفت اليها الناس، و محاولاتنا الجاهدة الى تذكرة الشعب و المستمع بتراثنا العريق، الذي يكاد يندثر في ظل التكنولوجيا ، و محاولتنا بالأخذ بيد المهتم الى التراث الشعبي ليتوغل معنا فيه ، لأنه سيظل تراثا شعبيا ممتدا بمواضيعه رغم أنف الوعي و التفتح و التطور.

بيد أننا لا نخفي عنكم بعضا من الصعوبات التي واجهتنا في مسيرة بحثنا هذا ألا وهي كثرة المصادر و المراجع التي لم نستطع أن نلم بجميعها و ننهل من محتوياتها بالاضافة الى سبب آخر و هو حساسية الموضوع لأهالي المنطقة و بالتالي الباحث او المتسائل في هذا الموضوع يعتبر بالنسبة لهم متطفل غرضه الاستهزاء بهذه الطقوس و هذه المقدسات في نظرهم، و ايضا سبب آخر و هو صعوبة المفردات التي هي في الأصل تعود الى اللغة العربية الفصيحة القديمة التي ألزمتنا بالشرح لنتمكن من فهمها.

كادت هاته العقبات أن تبعث فينا اليأس و تخنق حماسنا في البداية و لكن بالصبر استطعنا أن نجني محصولا لا بأس به ، فلُبُ الدراسة أمرين متلاحمين هما الجمع و الدراسة ، و من هاته الثنائية استطعنا ان نبني خطة بحث شاملة لكل جوانب الموضوع و هي كالتالي: فصلين كل فصل يحتوي على أربعة الى خمسة مباحث و كل مبحث يندرج منه عناوين.

- الفصل الأول: يتحدث عن حياة الولي الصالح سيدي الشيخ.

نستهله بخريطة توضح موقع بلدية الأبيض سيدي الشيخ.

❖ المبحث الأول:
- نسبه (نسب الولي الصالح سيدي الشيخ).
- مولده.
- مخطط الشجرة الأصل للولي الصالح سيدي الشيخ.

❖ المبحث الثاني:
- أسماؤه (أسماء الولي الصالح سيدي الشيخ).
- أولاده (أولاد الولي الصالح سيدي الشيخ).
- مخطط لأولاد سيدي الشيخ.

❖ المبحث الثالث:
- تعليمه (دراسة الولي الصالح سيدي الشيخ).

❖ المبحث الرابع:

- آثاره (أعمال الولي الصالح سيدي الشيخ).
- قصيدة الياقوتة مع الشرح.
- قصيدة الحضرة مع الشرح.

❖ المبحث الخامس:

- وفاته.

- الفصل الثاني: يتحدث عن مظاهر التراث الشعبي التي خلفها الولي الصالح في منطقة الأبيض سيدي الشيخ:

❖ المبحث الأول:

- الزيارة و المزارات: تعريف الزيارة – طقوسها .
– تعريف المزارات – أنواع المزارات.

❖ المبحث الثاني: رحلات سيدي الشيخ و تأسيسه للزوايا:

زاوية مغرار التحتاني- زاوية فكيك- الزاوية المتنقلة- زاوية الأبيض سيدي الشيخ.

❖ المبحث الثالث: أسباب ظهور الزوايا.

❖ المبحث الرابع: العادات و التقاليد في منطقة الأبيض سيدي الشيخ:

الركب و الوعدات- الأشعار الشعبية و مقاطع من القول في مدح الولي الصالح سيدي الشيخ.

و في الأخير كان علينا ان نتوج موضوعنا بخاتمة كحوصلة تبين ما توصلنا اليه من خلال هذه الدراسة ، كما أرفقنا عملنا بصور فوتوغرافية تبين علماء و شيوخ اتبعوا الطريقة التي جاء بها سيد الشيخ و كذلك شريط فيديو يصور أوجه التأثر بهاته الشخصية من خلال الوعدات و الركب. و في آخر هذا المطاف ما يمكن قوله انه مهما غرف الباحث من عمق هذا التراث إلا انه لا يروي ظمأ فضوليته.

الفصل الأول

تمهيد :

يتواجد ضريح الولي الصالح سيد الشيخ في منطقة الأبيض سيدي الشيخ حيث كانت هذه المدينة عبارة عن واحدة في ولاية البيض ، التي أقام فيها سيدي الشيخ زاويته حيث ارتبطت هذه المدينة باسمه و تتربع على مساحة مقدرة ب 33.08117 كلم^2 ، مشكلا من أربع بلديات و هي على التوالي : الأبيض سيدي الشيخ مساحتها 19.107 كلم ^{2} ، 28232 نسمة بلدية البنود تبعد عن مقر الدائرة ب : 80 كلم^2 ، بلدية أربوات25 كلم^2 ، بلدية عين لعراك تبعد أيضا ب 70كلم^2 ، يحده من الشمال الشرقي بلدية الكراكدة ، و البيض- مقر الولاية –من الجنوب ولاية أدرار من الغرب دائرة بوسمغون و الشلالة و ولاية بشار أما ناحية الشرقية فتحدها دائرة بريزينة ، إن مدينة الأبيض سيدي الشيخ و ما يجاورها إلا و يحتفظ أهاليها بالولي الصالح سيدي الشيخ في الذاكرة و هي ترتبط بثلاث ثوابت – العقيدة ، طقوس ، شعر الشعبي – إذ تؤمن عقيدتهم بكرامتها و تجسيدها في الطقوس و تفخر قريحتها بأشعار شعبية أي القول فقد صدق من قال :

المرئ بعد موته أحدوثة يفنى و تبقى آثاره

فأحسن الحالات حال إمرئ بطيب بعد الموت أخباره[1]

[1]مقدمة : الدكتور جلول الصديقي ، مقدم الطريقة الشيخية الشاذلية بأروبا ،السيرة البوبكرية (الجزء 2) ، سيدي الشيخ الشخصية الخارقة للعادة ، 2047- 2011 ، ص 03

المبحث الأول: نسبه

لقد شهدت الأبيض سيدي الشيخ شخصية كبيرة عاصرت القرن السادس عشر ميلادي ألا و هو الولي الصالح سيدي الشيخ حيث تثبت البحوث التاريخية و الدينية انحداره من عائلة كبيرة تعود جذورها إلى الصحابي الجليل أبي بكر الصديق الذي خلف ذرية صالحة[i] ، "هاجر"آل أبو بكر الصديق من شبه الجزيرة العربية نحو الغرب فمر بالسودان ، مصر و أسسوا فيهما الزاوية البوبكرية التابعة للطريقة الشاذلية ومؤسسها الصوفي الصالح أبوحسن الشاذلي ، ثم غادرو مصر ليمكثوا في تونس ، ثم ما لبثوا أن غادروها نحو المغرب الأوسط – الجزائر – متجهين نحو واد القلية بالجزائر تحت قيادة سيدي معمر أبو العالية و قد قاموا طويلا في نواحي تنس و غليزان ، و للتعرف أكثر على أجداد الولي الصالح سيدي الشيخ و الذين من أبرزهم سيدي معمر أبو عالية الذي سبق لنا ذكره ، الذي خلف بعد وفاته رحمه الله ابنه عيسى أبو ليلى ، الذي أنجب أبو الحياء ، ثم إمتدت السلسلة إلى أن وصلت إلى أبو سماحة جد سيدي الشيخ الأول الذي كان عالما صوفيا " [2]حيث أنجب سيدي أبو سماحة ولدا وهو سيدي سليمان المتوفي في مدينة فكيك ودفن في بني ونيف ، حيث خلف بعده ثلاثة أولاد و بنتا وهم : سيدي محمد، سيدي أحمد المجدوب ، سيدي لعرج ، لالة صفية ومن هنا إلى أن يكتمل نسب سيدي الشيخ الذي أبوه سيدي محمد و جده أبي سماحة ، فمن خلال نسبه كما سبق هو الولي الصالح عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة[3]

1- خليفة بن عمارة ، السيرة البوبكرية (أجداد سيدي الشيخ) ، الجزء 1 ، ترجمة محمد قندوسي ، حقوق الطبع محفوظة ، مكتبة جودي مسعود ، 10 الطبعة الثانية ، 542- 2002 ، ص 04

2- نفس المرجع أعلاه ، ص08

3 – من خلال ما استنتجه

مولده :(حياة الولي الصالح):

من خلال الدراسات يلاحظ و عن دراية أنه من الصعب تحديد زمان و مكان ميلاد البدو الرحل لأن حياتهم عبارة عن ترحال دائم بحيث تقول رواية شفهية أن عائلته كانت متعودة على الترحال ، بالقرب من قرية الشلالة و حوالي القليتة غير بعيدة عن القرية الصغيرة الحالية ربا لفوقاني ، على أي حال فإن قريتي ربوات و الشلالة لا تفصل بينهما سوى مسافة 50 كلم . مع الإشارة كتذكير إلى ما يلي حسب بن الطيب و بعض الروايات القليلة الملتقطة بالشلالة يكون عبد القادر قد ولد في هذا القصر حيث كان يملك والداه سكنا و حسب الروايات الملتقطة بالغاسول والتي نقلها جياكوبيتي[1] يكون عبد القادر قد ولد بالمقام الواقع بالقرب من قبة جده لأمه سيدي علي بن سعيد.

أما في كتاب تقوية إيمان المحبين في مناقب سيدي عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة المعروف بعنوانه المختصر :" المناقب" حسب سكوني " أن سيدي الشيخ توفي يوم الجمعة الثاني من الأيام من شهر جمادى الأولى ، عام خمسة و عشرين ألف أي 19 ماي 1616 م ، و يضيف المؤلف نفسه أنه عاش و عمره خمسة و ثمانون سنة و مولده على هذا الحساب على رأس الأربعين بعد تسعمائة أي 1533، حيث أنهى عمله بعد 30 سنة من وفاة سيدي الشيخ ، هذا الأخير يعرف جيدا والد المؤلف مما يعطي مصداقية لهذا المصدر، وبالتالي يمكن تحديد تاريخ ميلاد سيدي الشيخ في سنة 1533م/940ه ووفاته في السنة 1616م/1056ه [2]

1 - جياكوبيتي، هو من الآباء البيض المسحيين و الذي كان يسكن هو كذلك بالأبيض نهاية القرن 19/ بداية القرن 20م

2 - خليفة بن عمارة ، ترجمة بوداود معمر : سيرة البوبكرية (الجزء الثاني) ، سيدي الشيخ الشخصية خارقة للعادة ، مكتبة جودي مسعود ، 2047- 2011، ص16.

المبحث الثاني : أسماؤه

تتداول عدة ألقاب تتعلق بالولي الصالح عبد القادر بن محمد فقد أحصينا أهمها وهي ستة أسماء و كل اسم يسند إلى حادثة معينة أو مكان ما أو بصفة من صفات التي عرف بها .

الإسم الأصلي : عبد القادر بن محمد بن أبي سماحة كما ورد في شجرة النسب وفي قصيدته المشهورة الياقوتة ، حيث عرف نفسه بقوله في مقاطع من قصيدة الياقوتة

- فإنني عبد القادر بن محمد سليل أبي الربيع نجل سماحة
- و لا فخر غير أني عبد القادر و أحمد تاج الرسل أقوى و سبيلة[1]

1 - **سيدي الشيخ :** يتبين لنا أن سر في شيوع هذا الاسم هو وقوع حادثتين

الأولى : يقال أنه كان لعجوز ولد سقط في بئر فصرخت مناجية بقولها :

يا قادر يا مولايا عبد القادر " فجاءها " عبد القادر جيلالي "[2]

لإنقاذه حتى وجد عبد القادر بن محمد قد سبقه في ذلك فقال له مولى عبد القادر الجيلالي افرز أسماك من سمايا : فرد عبد القادر بن محمد قائلا في أبيات شعرية :

كالمرأة اللي طاح وليدها في البير عيطت عليك وعلى البغدادي

عيطت لأهل النوبة بلا تأخير يأهل الغيث تكونوا مع وليدي

1 - الدكتور بوعبد الله غلام الله ، وزير الشؤون الدينية و الأوقاف : القيم الروحية و الرؤية الوطنية في الطريقة الشيخية ، 29 شوال 1432 ، 27 سبتمبر 2001م ، ص 33

2 - عبد القادر الجيلالي : بن أبي صالح عبد الله مؤسس الطريقة القادرية و إمامها في القرن 5ه ، و هو بغدادي الأصل

الحادثة الثانية :[1] تقول أن عبد القادر بن محمد عندما كان يدرس في المغرب قرب

شيخه " عبد الرحمن السهلي[2] حيث كان مريدوه يقوموا بالتسبيح و الذكر ليلا كشرط من شروط الزاوية إلا أن البعض منهم كان يغلبهم النعاس ما عدا الشيخ عبد القادر بن محمد لم يلاحظ عليه هذا بل بالعكس كان يقوم الليل كله ، فتفطن شيخه إلى هاته الميزة التي سمحت له بأخذ نظرة جيدة أعطته مكانة الشيخ في تحمله المسؤولية من هنا أصبح يحل محل شيخه عبد الرحمن في حراسة الطلاب وهم يرتلون القرآن و يذكرون آناء الليل فإذا غفل أحدهم أيقضه صاحبه قائلا له – انهض انهض الشيخ قادم – و من هنا أطلق عليه اسم "الشيخ" كقول " محمد بلخير" في مناجاته له

- ما بياش الحبس اللي عيب وعار الناس تقول بشيخه وسمح فيه
- محمد بلخير عبد بلا تحرار نحسب سيد الشيخ ليا وأنا ليه[3]

1 - من نفس المرجع السابق، أنظر الصفحة 33
2 - عبد الرحمن السهلي : هو فقيه و شيخ سيدي الشيخ و هو قطب من أقطاب التصوف
3 - محمد بلخير : شاعر شعبي ولد سنة 1828 بمنطقة بوعلام بولاية البيض و لقب بمدائح الشيخ

2- **بوعمامة :** و هي تعني درجة من درجات التصوف أي تقلد مرتبة من مراتب الصوفية دلالة على مكانة عالية ، كقول الشاعر محمد بلخير :

-يا عالم الخفايا يا مفتاح كل باب **** الشيخ بوعمامة ليّا رضيه

نموذج آخر من قول[1]

يا خيري ياانا الشيخ بوعمامة فال الخطار

يا خيري يانا و لبقى يفول يدي التسريح.

3- **الرحلة البيضاء** : و يعني بها فرسة الأبيض و ناقته البيضاء ، من قول الشاعر محمد بلخير : أنا خديم الرحلة البيضاء زين لقلب

محبوب خاطري لبدا مونس بيه

وقوله أيضا في قصيدة أخرى:

- الرحلة البيضاء لله حرمتك سيدي لا تنساني

جبنالك الصلاح وين طافوا في كل بلاد

نموذج من القول :

- جميع من " عشره "[2] ما يبقي فراقه

" مزين "[3] الرحلة البيضاء

1 - القول : معناه و هو الغناء الشعبي المعروف بمنطقة البيض و المتداول بها
2 - عشره : أي عاش معه و بقي معه
3 - مزين : ما أجمل

4 –الفرعة[1] **:** و هي موضع تفرغ الماء و يقصد بها منبع الاستزادة من العلوم الدينية و الحكم و المواعظ فقد شبه بمكان التفرع.

- في القول : ياهانا الشيخ مول الفرعة نبقي صباحه

ياهانا اللي أبقى بشوفه إيصحح البصر[2]

وفي قول أخر:

الفرعة قالية عزيزة في قلبي زين ما نرخسها بحتى سومة

5- الغرمامي : مشتقة من الغرامة و هي تعني إعطاء المال إكراما له أي أنه صاحب فضل يستحقه

القرمامي : نفس المعنى السابق إلا أن القاف مكان الغين بسبب نطق المنطقة فهو أكثر تداولا.

قال محمد بلخير عند هدم القبة من طرف الاستعمار الفرنسي :

- يا فارس حشمتك عيد لخبار واش حال القرمامي رايس القوم

06- القالي و الغالي : بمعنى العزيز وترد في القصائد و في الشعر الشعبي لمنطقة القاف مكان الغين حسب نطق منطقة البيض

في القول من قصيدة – كراني قانطة -:

يا هوالي كيراني قانطة ما ودعت القالي.

نفس المرجع السابق من الصفحة 05

مقطوعات القول مأخوذة من مجموعة نسوة من الأبيض سيدي الشيخ

أولاده :

أنجب سيدي عبد القادر بن محمد 18 ولدا ، من أبرزهم الولد الثالث سيدي الحاج بوحفص رأس فرع البكري ، الذي عينه أبوه قبل وفاته وليا ورئيسا على كل العائلة ، ووارثا لمقاليد الزاوية وذلك لما رأى فيه من الطاعة و ورع و تدين و عدل ورجاحة العقل ، و بعد وفاة سيدي الحاج بوحفص سنة 1660 ترك وصية لأخيه سيدي الحاج عبد الحاكم ليخلفه على رأس الزاوية ، نظرا لأن ابناءه التسعة كانوا قصرا[1]

وكما سبق وذكرنا أن سيدي عبد القادر بن محمد قد أنجب 18 ولد مات منهم سبعة واحدى عشرة ولدا الباقون كونوا ما يسمى بأولاد سيدي الشيخ و هم كالتالي:

1 -الحاج بن الشيخ وأمه من بني عامر
2 -حاج عبد الحاكم والحاج ابراهيم ومحمد عبد الله وأمهم من توات
3 -الحاج أبوحفص وعبد الرحمن والمصطفى وأمهم بنت السيد أحمد المجدوب
4 -الحاج أحمد وأمه نصرانية أسلمت وهي دفينة في خميس مليانة
5 -محمد البلج بن عيسى وأمهم بنت سي عبد الجبار الفجيجي أما السبعة الباقون فسيتم ذكرهم ضمن المخطط التالي[2]

1 - د. بوعبد الله غلام الله وزير الشؤون الدينية و الأوقاف : القيم الروحية و الرؤية الوطنية في الطريقة الشيخية ، 29 شوال 1432 ، 27 سبتمبر2011، ص 23 .
2 - نفس المرجع في الإحالة رقم 01 ، ص24

سيدي أبو سماحة

سيدي سليمان

سيدي محمد

عبد القادر(سيدي الشيخ)

أبنـــــاؤه

1 سيدي الحاج بن الشيخ

2 سيدي زروقي

3 سيدي الحاج بوحفص

4 سيدي الحاج عبد الحاكم

5سيدي بوحسان

6 سيدي الحسان

7 سيدي الحسين

8 سيدي عبد الرحمن

9 سيدي الحاج محمد عبد الله

10 سيدي المصطفى

11 سيدي محمد بن الشيخ

12 سيدي بن عيسى

13 سيدي التاج

14 سيدي بولنوار

15 سيدي الحاج الدين

16 سيدي الحاج براهيم

17 سيدي المداني

18 سيدي الحاج أحمد

مخطط أولاد سيد الشيخ، المخطط رقم (2)

- نفس المرجع في الصفحة السابقة، ص: 25

المبحث الثالث:

تعليمه: (دراسته)

في بداية الأمر درس سيدي الشيخ و هو طفل و تأثر بالصوفية و التي هي مذهب الاعتزال السياسي و الفكر و مبدأه الزهد والتفرغ للعبادة و الذي يبنى على ثلاثة أحرف : الزاي : ترك الزينة ، الهاء : ترك الهوى ، الدال : ترك الدنيا [1]

ومن هنا كان عبد القادر – سيدي الشيخ – في البداية عمر تلميذا لأبيه ، فقد تعلم منه أساسيات القراءة و الكتابة و بدأ في حفظ القرآن الكريم تحت خيمة الزاوية المتنقلة و التي باتت جزءا لا يتجزأ من مخيم سيدي محمد بن سليمان ، كما أنه كان أيضا تلميذا لعمه سيدي أحمد المجدوب.[2]
وعندما بلغ سن السابعة كتب الدكتور تريملي قائلا : أن عبد القادر قاده والده إلى الشيخ عبد الجبار الشهير و الذي كانت له خلوة غير بعيدة عن الشلالة الظهرانية ، و ذلك أن معظم المصادر للدكاترة مثل : د.بوبكر، د. جياكوبيتي و،د.عبد الله طواهرية ، نقلو أنه لكي يستكمل دورته التعليمية الأولى (قواعد اللغة ، الحساب ، دراسة القرآن و الحديث ....) تم نقله من شلالة إلى فكيك و هي مدينة مغربية حدودية والتي تبعد مسافة 150 كلم و التي كانت تشكل القطب الاقتصادي و الثقافي لجميع أنحاء المنطقة و لكي يتعلم بزاوية آل عبد الجبار و التي كانت تشكل آنذاك أشهر زاوية ، تأسست في منتصف القرن 15 م من طرف الإمام أحمد بن عبد الجبار المنحدر من الولي الصالح الشريف موسى البرزوزي هاته الزاوية التي جاءها عبد القادر ليتلقى دروسه الأولى و بعض المصادر تقول أنه كان يتلقى دروسه من أحمد بن عيسى الكرزازي الذي تكفل به في الزاوية

---

1 - خليفة بن عمارة، ترجمة بوداود معمر، السيرة البوبكرية (الجزء الثاني) سيدي الشيخ الشخصية الخارقة للعادة ، مكتبة جودي مسعود ، 2047- 2011 ، ص 17
2 - نفس المرجع، ص18

إضافة إلى أنه تابع دروسا بالزاوية السكونية بقصر أوداغير التي أسسها الشيخ عبد الرحمن السكوني مؤلف كتاب المناقب، "بعد ذلك انتقل عبد القادر إلى فاس بعد مغادرته فكيك لبعض الوقت فأخذ عن عبد القادر الفاسي علوم القرآن و الشرعية و اللغة[1]

و لم يكتفي عبد القادر بالتعليم الكلاسيكي الذي كان يتلقاه من الزوايا التقليدية لفكيك ، بل توجه للبحث عن معارف جديدة و هكذا انتقل إلى زاوية : سيدي أحمد بن عبد الرحمن السهلي و هي زاوية مشهورة جدا تقع جنوب شرق المغرب ، و لمدة تفوق السبع السنوات تابع عبد القادر دروسه وعمق المذهب الصوفي للطريقة الشاذلية [2] " فمنذ ذلك الوقت أبدى عبد القادر ميولا شديدا خاصة إلى الدروس الدينية، حيث كان حقيقة موهوبا في دروسه وكان عنصرا لامعا ينتظره مستقبلا زاهر في التعليم و الدعوة ،" أما بالنسبة إلى السند الطريقة فقد أخذ سيدي الشيخ طريقته عن سلسلة أخرى من الفقهاء و هي أيضا كانت سببا في تعلمه" يمكننا ذكرها في الجدول وهو كالتالي:

---

1 - نفس المرجع السابق، ص 19، أنظر الصفحة 08

2 - نفس المرجع السابق ص 20

الفقيه	تعريفه
بن يوسف المليانى	نسبه أحمد بن يوسف الراشدي المليانى وهو تلميذ أحمد الرزوقي ولد في 1525 وهو يرجع له الفضل في نشر الطريقة الشاذلية في الجزائر و شرق المغرب وهو من مشايخ سيد أحمد المجدوب عم سيدي الشيخ
أحمد الرزوقي	سيد أحمد الرزوقي البرنوصي الفارسي منشأ الطريقة الشاذلية صاحب آثار الوافر المتمثل في أصول الطريقة و الفن وهو طريقة إلى الحج سنة 1493 بالقرب من تراب الليبي و ما زال ضريحه موجود و يزار
بن عقبة الخضرمي	سيد أحمد بن عقبة الخضرمي أحد مشايخ أحمد الرزوقي وهو من أتباع الطريقة القادرية نسبة إلى عبد القادر الجيلالي، توفي حوالي 1450
أبوعباس مرسي	ولد بموسيا بالأندلس وهو تلميذ و خليفة الشاذلي و ناشر طريقته توفي سنة 1287 بالإسكندرية ويوجد ضريحه بالمسجد الذي يحمل اسمه
أبوحسن شاذلي	منشئ الطريقة الشاذلية التي تحمل إسمه ولد بتبسة وقيل بتونس 1196م و توفي سنة 1258 في صحراء مصر أين يوجد ضريحه وكان من أبي مدين و عبد السلام بن مشيش .
عبد السلام بن مشيش	ولد بالريف المغربي جنوب غرب تيطوان تتلمذ على يد سيدي مدين و اغتيل سنة 1228 مازال ضريحه في مكان خلوته على قمة جبل العالم و يزار أيام المولد النبوي وعرفات خاصة
أبو حامد الغزالي	هو فيلسوف اسلامي ولد سنة 1059 صاحب كتاب أحياء علوم الدين الذي كتبه أثناء خلوته وتوفي سنة 1111م
أبومدين شعيب	شعيب الحسين الأندلسي ولد حوالي 1126 م بالأندلس توفي 1197 بتلمسان لقب بالغوت وهي رتبة من مراتب الصوفية إذ تعرف على الشيخ الجبلالي البغدادي ولازمه

علي بن حرزهم	أبو الحسن بن حرزهم اعتنق الطريقة الصوفية الغزالية و تثبت بإحياء علوم الدين للإمام الغزالي توفي سنة 1197 م بفاس و دفن بمقبرة باب فتوح.
حسن البصري	ولد سنة 643 بالمدينة المنورة توفي سنة 728 و دفن بالبصرة و هو من أتباع الصحابي الإمام الحسين الخزاعي الذي أصبح من اتباعه وهو أول حلقة في تاريخ التصوف في الإسلام[1]

و أيضا كما بدأ طريقته كالتالي[2]

فشيخ الشيوخ ذاك شيخ زماننا — اليه انتهت فنون هذي الطريقة

فمن شيخنا عن شيخه عن شيوخه — تسلسلت الأشياخ أهل العناية

فأولهم في الذكر شمس وجودنا — و قطب نهى علومنا اللدنيّة

أبو عابد اللإله يسمى محمدا — إلى عبد الرحمن يعزى بنسبة

---

1 - الجدول : الدكتور بوعبد الله غلام الله : القيم الروحية و الرؤية الوطنية في طريقة الشيخية،29 شوال 1432، 27 سبيتمبر 2011 ، نفس الصفحة 16-17

2 - نفس المرجع أعلاه، ص 17

المبحث الرابع: آثاره

ترك الشيخ آثار مكتوبة جمعت بعد وفاته وطبعت في كتب و لازالت تردد إلى حد الساعة إلى يومنا هذا ، و ستشرح لاحقا و هي كالتالي :

1 -منظومة المطولة (الياقوتة) تحمل 178 بيت من البحر الطويل وضح من خلالها سند طريقته بذكر مشائخه وردّ فيها القاضي أبي المحلي[1] الذي نعت سيدي الشيخ بأنه خرافة الزمان.

2 -القصيدة الحضرة التي تحمل جملة من أوراده يغلب على طابعها أسلوب الذكر و بساطة التعبير حتى يسهل حفظها .

ولعل جل أعماله وكتاباته راجعة لإهتماماته الكبيرة وتفرغه للأعمال الدينية و الدينيوية المتمثلة في التدريس و الإصلاح كونه كان رجل دين وجاهد في سبيل الله و كان أهلا للمشورة و الوعظ و نصرته للمظلوم و سخطه على الظالم.

---

1 - القاضي أبو المحلي: من مواليد سنة 1560إدعى أنه المهدي المنتظر ، أغتيل بمراكش سنة 1022ه-1613 م عن طريق السلطات و هو من أشد خصوم سيدي الشيخ

الياقوتة

تأليف الشيخ عبد القادر بن محمد – سيدي الشيخ –

بدأت بحمد الله قصدا لنجح ما أروم من استفتاح نظم القصيدة

وأهدي صلاة ثم أزكى تحية على المجتبى الهادي شفيع البريئة

صلاة وتسليما كثيرا مجددا إحاطة علم الله في كل لحظة

وبعد ففضل الله يوتيه من يشا بمحض تفضل ومن ورحمة

و مهما اجتبى عبدا سعيد لقربه تخير هو ذاك ليس لعلة

و يمنع من يشاء جل بعد له و يحرم فيض الفضل من غير قلة

ولما رأيت القوم جدوا في سيرهم إلى المقصد الأسنى بصدق العزيمة

جرت للتأسي نفسي ثم تعلقت بأذيال أرباب النفوس الأبية

و حامت على حماهم ثم خيمت مغرسهم فزاحمتهم لشركة

ولما تفاوضنا المشورة بيننا برمنا عقودا بالعهود الوثيقة

تبايعنا بيع البتِّ ليس كبيع من يرى البخس ثم ينثني بالإقالة

فصرنا و صاروا خلف صدق وودنا وداد النهى ذوي الصدور السليمة

و بعد تعاطينا الموائد نبتغي فنون العلوم يالها من عطية

فلما أديرت الأباريق بيننا من شوق تتلوها كؤوس المحبة

و نحن نشاوى نلتقي شرب خمرها بكلتا اليدين في الأواني المعدة

وحين انتهى بينا الشراب على الذي قضاه لنا الرحمن وفق المشيئة

سكرنا وهمنا بالشراب فبينما أنا بين حالي غيبة وافاقة

دعيت هلم فاستمعت دعاءه فلبيته إذن بحسن الإجابة

وأدناني منه إذ فهمت مراده وغاب مرادي كله في الإرادة

و أشهدني عوالم الخلق كلها وخيرني فاخترته دون مرية

فلما رأى رضاني ليس بدونه كساني رداء قربه و الخلافة

فنيت فلم يغن الفناء عن بقائنا وليس البقاء حاجبا عن فناية

و لا الفرق أيضا حاجب لاجتماعنا ولا الجمع لي عن ذاك جاء بعكسة

فغبت عن الأكوان طرا بأسرها و شاهدت ربنا بعين بصيرة

و منذ عرفت الحق غبت عن السوى و لم تطب النفوس إلا برؤية

و مهما نظرت كائنا ما بعيد ما عرفته لم أعره مني بلمحة

رقيت فما الذي يفوق مقامنا سوى سلف الأخيار أهل الولاية

كذا صحب خير الخلق فازوا برؤية تقاعس عنها الغير من دون مرية

وعاينت مالو عاين الغير جزءه لذاب و طاش ماله من قريحة

و حملت نفسي مالو معشاره على عنان الجبال الراسيات لدكت

و لولا فَشْوُ السر كفر بعينه لبحت به ولكن أولى التصمت

و لكنني أغضى حياء و أقتفى سبيل ذوي النهى في صون السريرة

سلكت طريقا لم يطأها خلافنا و لم يسلكنها غيرنا من خليفة

سوى سلفا لنا قفونا آثارهم وهم قدوتي من الشيوخ الأجلة

و لو شئت قول كن يكن الذي أنا أقول و يجري الأمر فوق الإرادة

و لكن جلباب الحيا و تأدبي مع الله يحجبان تلك المقالة

وردت بحور الحب فازداد صحوها وغبت فزاد الغيب صفو الحضرة

فلما عرفت وصفي و امتاز وصفه و أجلسني بباب صدق العبودة

بذلت له نفسي بجد و قال لي رويدك خذ مقام عز و رفعة

ففاض علي جوده متوافرا و من وولاني لواء الولاية

و ما من مقام شئت فيه إقامة و لا وهاتف الندا بالحقيقة

تنادي هلم فاخلع النعل و أدخلن لك الحكم أوبك المكارم حفت

حويت لكم و كم مراتب حزتها ولا أنست بدون غيره همة

فكم آية رأيتها في ارتقائها و لم تغنيني عن دونه كل آية

حفظت علوما لم يسعها سماؤها ولم يبلغ انتهائها أهل الإشارة

فعمت و خضت في الأنام منارها و في حضرة كماله مستمره

سرى سريانا سرنا في السرائر و لم يدركن بالأفهام المعدة

فليس سوانا بعدنا بمعبر عن الحضرة العليا بأحلى عبارة

بعزته أقسمت ثم جلاله لما طاب و قت القوم إلا ببيعة

وأي وصول كان من غير بابنا أي دخول منه دون إشارة

ومن يستغث بنا اضطرارا لغوثنا يغاث و لو بقعر بحر و ظلمة

و مستنشد باسمي لكشف ملمة سأدركه و لو ببعد المسافة

فيا أهل عصرنا أجيبوا دعائنا فإننا ندعوا للهدى عن بصيرة

أحذركم بما النبي قد أتى به و أخبركم بما أتى من بشارة

و لست بمدعي الرسالة غير ما تحصل لي من إرث علم و حكمة

فيا عجبا لعاطش بإزائه بحور مياهها شراب المودة

فدونك فاشرب و ارتق من بحورنا فلها شفاء من الأهواء المضلة

و أي طبيب للقلوب من العمى أطب من الذكر القوي الإشارة

و أي معد للذنوب و محوها أشد من اسم ذي الصفات الجليلة

و ما الحج و الجهاد من غير فرضنا بأفضل من ذكر الأسماء العظيمة

بل الذكر أقوى ثم أولى لاسيما إذا استشعر القلب النعوت الحميدة

بذا صنع المختار أعني نبينا و صح بالنقل في الآثار الصحيحة

و أي سلوك كامل دون صحبة و أي اهتداء شامل دون منحة

و أي طريق راشد غير رشدنا و أي اهتمام الوقت من غير همة

فصدق فإن الصدق أرفع رتبة لمن يبتغي الوصول فاحفظ مقالة

لقد شهد المولي بأني نصيحكم وأني على نصح جدير بخبرة

فوا أسفا لتارك حبل عهدنا عمى و صم و ارتد بالقطيعة

و يا خيبة المشغول عنا بلهوة و أضحى بعيدا سريع ندامة

و يا حسرة الذين آنوا ببعدنا إلى أن تجرعوا كؤوس المنية

سيسقط في أيدي الخوالق بعدنا لما فرطوا في أخذهم للطريقة

و ما أقبح التسويف عن قرب بابنا و ما أحسن التشمير قبل الإفاقة

فإني لبطال يظل مثبطا حليف الكرى غدا بطئ الإقامة

ينال المقام القوم أو يدرك المنى و يفهم عنهم و هو صاحب السكرة

أم كيف رضاء الله يدركه الذي يساخط ربه و يرضي الخليقة

أم كيف لمغتاب الورى ذي نميمة يموت شهيدا أو على خير ملة

أم كيف لمسرف الطعام و شربه يذوق مذاقا أو يفوز بشمة

كذا من عرف بالفسوق و نحوها يجازي بفعله القبيح و لعنة

فلم يمتثل أمرا و لم يجتنب نهيا و لم يذكر المولى خبيث السريرة

حريص على دنياه لاه مكثر مناع للخير معتد ذو علة

فكيف يكون للعلوم مناسبا أخو الكسل و التفريط في الخير خلة

إذا ما امتطى القوم الدجى للتهجد و حازوا مقام قربه بالمزية

بمقعد صدق فازوا و الرتب العلى و أسمى فراديس الجنان الرفيعة

فأعلى مقام العارفين بربهم رضوان الإله ثم زائد نظره

و ذلك كله بفضل إلهنا ينال بمن لا بكد و حيلة

و أما أسير ذنبه يوم حشره فهالك إن لم ينجينه برحمة

دعوت إلى باب الكريم عباده دعاء مأذون لم يزل عن بصير

و قد جاء و لتكن بمحكم ذكره إلى المفلحين أين أهل الإجابة

فكان مقتدي بنا وثق بكلامنا وجد بسيرنا تفز بالمودة

فإنني عبد القادر بن محمد سليل أبي الربيع نجل سماحة

و لا فخر غير أني عبد لقادر و أحمد تاج الرسل أقوى وسيلة

بالإتباع نلنا المراتب و العلى فبالله ما حدنا عن شرع و سنة

و منذ عقلنا سدد الله سعينا و مازلنا مقتفين نهج الشريعة

ولا تسمعن قول عاد معاند حسود لفضل الله بادي التعنت

و من ينسبن إلينا غير مقولتنا تصبه بحول الله أكبر علة

و موت على الخلاف دين محمد و يبتليه المولى بفقر و قلة

وبطش و شدة انتقام و ذلة و يردعه ردعا سريع الإجابة

بلعن الإله باء من رمى نسبنا عناد إلى فعل نكير و بدعة

كذلك الذي يرمي كريم جنابنا و ينسب قدرنا لأقبح سيرة

فكيف و باسم الحق نهج طريقنا يعود إلى ظلال أهل الدناءة

بدايتها للغافلين بتوبة و أشراطها محصورة بالتثبت

و نصح لدين الله ثم رسوله و خاصة و المؤمنين بجملة

و تطييب لقمة و تعظيم حرمة و شكر لنعمة و رفع لهمة

قواعدها شوق و عين يقينها محبة جد السير دأبا لحضرة

وكف الأذى و حمله و تصبر و لا تهمل الرضى بأدهى مصيبة

و زهد و تسليم و عفو وعفة و تفويض أمر و الشهود لمنة

و جد قوي و اجتهاد موافق و صوم و سهر ثم صمت و عزلة

و حزن و دمع ساكب مع لوعة و شغف قلوب الوالهين بزفرة

نهايتها شم و ذوق و شربها به ري خمر ثم سكر بغبة

و أمطارها فكر و ذكر و عبرة و محو ذواتهم للذات العظيمة

و من بعد غيم جاء صحو سمائها بإشراق شمس بالمعارف جمت

فجذب له عزم انتهاء دون حاجب إلى حضرة القدوس زج بسرعة

و حال لها حوى الأصول بأسرها طريقة أسلاف بيضاء نقية

فهذي فصولها و شرط كمالها منوط بعلم ثم حلم و حكمة

لها الجمعُ جمعُ الجمعِ جمعَ اتحادها أصول لها شهود في كل لمحة

فأولها ولي ثم نقيبها نجيب كذا الأبدال فاقوا برتبة

عمادها الأخيار أوتادها حبوا بخاصية المولى هم أهل الخصاصة

و غوث استغاث ثم جرس علومها فقطب له أعلى مقام الولاية

فشيخ الشيوخ ذاك شيخ زماننا إليه انتهت فنون هذي الطريقة

فمن شيخنا عن شيخه عن شيوخه تسلسلت الأشياخ أهل العناية

كذا نسبة الأبرار و صفوة الملا لها شرف ينمى لعز و رفعة

فمن قدوة علا إلى نخبة سما و من صفوة رقى لأسمى الخلاصة

و تلكم من بحر النبوة أنشئت و منه استمدت الفحول الدراية

عليك بهم في كل شأن تشاءه توسل بهم تنل سريع الإجابة

فخذهم بنظم واحداً بعد واحدٍ عليهم من الإله أزكى تحية

فأولهم في الذكر شمس وجودنا و قطب نهى علومنا اللدنية

إليه انتهت رئاسة القوم فارتقى على صهوات المجد من غير مرية

أبو عابد الإله يسمى محمدا إلى عابد الرحمن يعزى بنسة

عليه سلام الله ما ذر شارق و ما غنى طير باللغات الحنينة

فعنه أخذنا أعني عن قمر الدجى ورثنا طريق القوم دون استرابة

فبالراشدي إقتدى وعن الرزوق اهتدى عن الخضرمي ثم شيخ القرافة

عن ابن العطاء الله بحر علومنا عن المرتضي المرسي أحمد جلة

معارف منه للورى و مواهب فحاز بها مجد العلى و الجلالة

إلى الشاذلي السامي أبي الحسن الذي بحوز الكمال أضحى بحر حقيقة

عن ابن مشيش قطب دائرة العلا عبيد السلام ذي العلوم الرفيعة

عن المدني المرتضى غوث زمانه أبي يزيد النحريز تاج الأحبة

عن الشيخ شيخه مريد شعيبهم أبي أحمد السني بدر السعادة

عن السيد الذي أقر بفضله أئمة من مضى من أهل الولاية

و مع ذلك أن الله أشهر ذكره كشهرة هذي الشمس من كل بلدة

أخي لذ به واصغ سمعا لاسمه أبي مدين إمام هذي طريقة

لقد أخذ الأسرار عن قطب غربنا الإمام أبي يعزى نور البصيرة

عن السيد الأسمى الهمام الذي سما أبي الحسن بن حرزهم ذي اغاثة

عن شيخ فخر الدين ناهيك فخره أبي بكرهم يحي سراج الأئمة

عن الشيخ شيخ الكل سر هداتهم إمام كفياض البحور و قدوة

به يستغيث الكل شرقا و مغربا أبي حامد الغزالي عين عناية

عن سيد أبي المعالي لأنه إمام إليه ينتهي في الفراسة

عن الشيخ شمس الدين ذي النصح للورى أبي طالب المكي نور الولاية

عن السيد المرضي في كل سيرة إمام الجريري ذي النهى و النهاية

عن الشيخ تاج العارفين رئيسهم أبي القاسم الجنيد روح المجادة

عن السري السقطي نجل مغلس عن معروف الكرخي نجم الدلالة

إلى داوود الطائي الذي فاض علمه عن العجمي حبيبهم ذي الإنابة

إلى الحسن البصري الذي فاق نوره نجوم الدجى و نور كل منيرة

إلى سيف ربنا المهند للعدا و باب مدينة العلوم الجليلة

أبي الحسن علي صهر نبينا عليه رضاء الله في كل لمحة

إلى تاج من أوفى القيامة جملة و نوره عين الكون من دون مرية

محمد الهادي إلى الناس رحمة و معدن أسرار و عنصر نعمة

عليه الصلاة الله ثم السلامة بدال دوام الملك في كل لحظة

فعن جبريل الأمين عن اسرافيل قد تلقاها من لوح محفوظ الأمانة

عن القلم المأمور بالخط الذي قد كان و ما يكون في كل ذرة

و كل بأمر ربنا و قضائه فسلم و صدقن و احكم بنصحة

وإياك والتعنيب والحسد الذي ينافي الكمال عن الصميم العقيدة

فإن مواهب الكريم تعاظمت لدينا من غير حول منا و لا قوة

و إن قلت ما الذي أنالك فضله ففضل الإله لا ينال بحيلة

على أني للتقصير و العجز حيثما حللت ملازما و في كل حالة

و لست بذي نحو و لا عروض لما يرومه من قريضنا ذو الدراية

فعذرا لمن رام انتقاد ظاهرنا فلم نعد عن أوصافنا البشرية

و من رأى من عيوبنا فليداركها بحلم و ليصلحنها بعد تثبيت

و لولا الكريم جاد منا بفضله لما فاه منا ذو العلوم بقولة

ولكن ستر من مساوينا جملة وأظهر ما به النفوس اطمأنت

له الحمد أولا وثاني كمثل ما له الشكر على ما أسدى من فضلة

قد انتهى بنا القول نظما في كل ما نحاول من تحصيل جمع قصيدة

و سميتها الياقوتة رفعا لقدرها تسلسل فيها من اشياخ عديدة

معرفة لشأنهم و طريقهم و أسمائهم ذوي الأحوال الشريفة

عليهم رضا رب العرش بمليء ما أحاط به علما و أزكى تحية

وأهدي الصلاة و السلام مسرمدا على كل رسل الله أهل النبوءة

وأضعافها على النبي محمد إمام الرسل المجتبي بالوسيلة

هو النبي المبعوث للخلق كلهم وحامل اللواء الكامل الشفاعة

و آله و الأصحاب ثم جميع من قفا نهجه القويم في كل وجهة

صلاة تملأ الكون عدد وزنه كذا ما فوق الفوق وأسفل ظلمة (é)

شرح قصيدة الياقوتة :

تعتبر قصيدة الياقوتة – الياقوتة و هي حجر كريم- من أهم قصائد الصوفية ، إذ لا يوجد هناك تاريخ للقصيدة ، حسب ميلاد عيسى ألفها بدون شك للرد على انتقادات في الغالب ، كما أنه اختارها كعنوان تخليدا لذكرى شيوخه الصوفين الذين جاء ذكرهم في عمله ، حيث قدم سيدي الشيخ كما كتب تريملي معبرا : بأن قصيدته الصوفية من بين القصائد الأخرى تعتبر تحفة في المنطق و البهاء [1]
تحمل القصيدة 174 بيت حيث قيل أن هذه القصيدة الصوفية قد نظمت في أواخر القرن 16 أما من حيث المكان فلا يمكن تحديده ، أما السبب الوجيه لنظمه لهذه القصيدة كما ذكر في السابق أنه يرجع إلى أنه رد على خصمه – أبو المحل الفيلالي – صاحب زاوية بني عباس الذي ألف كتابا سماه (المنجبيق) كما أنه إدعى أنه المهدي المنتظر ، أدرج الكثير من المألفين قصيدة الياقوتة الى أن القصيدة هي الأكثر قدما في كتاب – المناقب – للمؤلف العربي سكوني الذي كتبه بعد ثلاثين سنة من وفاة سيدي الشيخ .

" القصيدة ذات قافية واحدة في أغلبها ، تعمد على نسق منتظم ، حيث لم يرضى بعض اللغويين في بعض مقاطعه وهو أمر لم يكن يهم سيدي الشيخ بقدر ما كان يهمه تبليغ رسالته إلى الناس في زمنه فقد كان معظمهم لا يتحدثون سوى باللغة العربية الدارجة ، حيث أوضح هو نفسه في بيت 164 أنه ليس نحويا و لا عروضيا وقدم اعتذارته على الأخطاء النحوية و اللغوية المفترضة[2].

---

1 - خليفة بن عمارة، السيرة البوبكرية : الجزء الثاني ، لسيدي الشيخ الشخصية الخارقة للعادة ، 1047-2011، ص74
2 - نفس المرجع، ص 75

ذكر سيدي الشيخ في بداية أن الله يوتي الفضل لبعض المخلوقات بغير سبب واضح يخضع لأهداف عليا غير معروفة ، كما رأى الشيخ أن رؤية المولى عز وجل بعين البصيرة وهي رؤية الذات الإلاهية رؤية داخلية و ليس بالعين المجردة و بهذه الصفات يكون قد وصل إلى مقام سامي لم يصله سواه عدا اللذين سلكوا نفس المنهج كما أنه حمل نفسه أمانة الخلافة في الأرض و هي رسالة كلف بأدائها على أتم وجه

و يظهر جليا في البيت التالي:

- و أشهدني عوالم الخلق كلها و خيرني فاخترته دون مرية
- فلما رأى رضائي ليس بدونه كساني رداء قربه والخلافة

ثم ينتقل إلى ضرورة عدم إفشاء السر وصون السريرة حتى لا يكون مصيره ابن جلاح الذي راح ينادي في الناس ويتباهى بعلاقة حبه مع الله و هذا ما جاء في البيت التالي :

"ولولا فشوا السر كفر بعينه لبحث به لكن أولى التصمت

ولكنني أغضي حياء و أقتفي سبيل ذوي النهى في صون السريرة"[1]

كما أن سيدي الشيخ يظن أنه مثل ما بايع المسلمين الرسول صلى الله عليه و سلم أنه سيكون له بالمثل و بأنه أصبح بإمكانه أن يستغيث من استغاث به و لو في قعر البحر كقوله في قصيدته:

- بعزته أقسمت ثم جلاله لما طاب وقت القوم إلا ببيعة

وأي وصول كان من غير بابنا وأي دخول منه دون اشارة

---

1 - من قصيدة الياقوتة، البيت 31-32

بعد ذلك يدرج سيدي الشيخ الشجرة المتضمنة قائمة مشايخ السلسلة الصوفية للشاذلية التي ينتسب إليها ، " كما أن طول قصيدة الياقوتة استوجب عملا ذا نفس طويل ، و خاصة بالنسبة لرجل منهمك في كثير من الأحيان و عمق الأبيات المتضمنة تجربته الصوفية ، تدفع الإعتقاد أنها كتبت في فترة طويلة نسبيا و في نفس الأماكن التي عايش فيها هذه التجربة ، حسب روايات متداولة في المنطقة ، و من المؤكد أن مطلع قصيدة الياقوتة و خاصة المقطع الخاص بسلسلة الأشياخ و التي كان في حاجة إلى ذكرها تحدث عن شيخه السهلي الذي خصص له وحده من بين 26 شيخا صوفيا خمسة أبيات كاملة من المدح – من البيت 125-129 – و قد قال سيدي الشيخ بتعبير صريح أن هذا الشيخ هو شمس وجودنا و عنه أخذنا، فلقد شكلت وفاة شيخه منعطفا حاسما في حياته، فبصفته أفضل و أخلص مريد، أصبح زعيم البوبكرية بعد وفاة شيخه، فقد فرض سيدي الشيخ نفسه كوريث روحي لسيدي أحمد بن عبد الرحمن السهلي[1]

1 - نفس المرجع السابق، ص76

قصيدة الحضرة

قال الشيخ العارف بالله سيدي عبد القادر بن محمد رحمه الله :

يا الله خلخل قلبي في هوى ذكرك لهواك قلتها يا ربي للمرصاد لقاك

خلقتني للترف عبد لك ضعيف الطف بنا يا لطيف بارضى يوم لقاك

وفقتني للحساب و لا أعرف الجواب يا لله يا وهاب اجعل مهوانا رضاك

لا تعيدو يا ذاكرين غير الحضرة العشاق هي وهب الفاكرين تضوي القلوب بالإشراق

راه وقتها مشهور بعد فرض مولاك قبل سراح الطلوع عالج بها هواك

ثم بعد الغروب كن في ذكرها مرغوب تأتيك من غيوب مواهبها تضوي

سندها معقول عن خضرمي منقول سندها قحول عن الحبيب تروي

أهل السلوك ملوك فرسان في الحضرة يصبغوك بغير لكوك من شفاهم يبري

يسر حضرتهم ياتوك و العاشق فيهم يضوي بنور همتهم يسقوك من جالهيكلهم

بديتها بر وقار القلب تجلى نهايتها شروق في علم الغيب تضوي

التسليم لك رضى و الأدب فيها يوالي لعلها لهواك تصفى بها الأحوال

يا الله طلبتك بأحمد الحبيب بجاهه قصدتك تغفر لنا يا مجيب

محمدنا الرسول جا بالحق بشير و يا لوعد يقول بالوعيد تدير

محمدنا الشفيع جا بالحق بشير و يالوعد يقول راه بالوعيد نذير

صلى عليه الإله بسلام كثير ما احتوى علم الله بالجلال الكثير اليسير

هو فضل الإله من نوره يفتح رحمة لمن سواه بالجنان يفتح

يا الله وصفك عالي بالله فلا يدرك يا الله زين حالي بالله فلا يهلك

تغاليت يا نقال تتنزه بالتقديس واحد في الأزل لا أنس ولا أنيس

يا الله أنت ربي يا الله مالي غيرك يا الله نور قلبي يا الله برحمتك

يا الله يا ذا جلال والجمال والكمال تحيرت العقول في كنهك والأمثال

وجهت لك قلبي يشتغل بك يا جواد اسقنا من بطون الغيب ووفقنا للمراد

يا الله تغفر ذنبي يا الله يوم حشري ياالله استر عيبي سيدي برحمتك

أنظر فينا نظرة يا لطيف بالعباد حدد لنا الحضرة واسقنا كأس الوداد

يا الله طب المعلول يا الله بجاه رسول يا الله اشف مضرور يا الله و في ذا القول[1]

1 - قصيدة الحضرة، تأليف الشيخ عبد القادر بن محمد ،(سيدي الشيخ) ، القيم الروحية و الرؤية الوطنية في طريقة الشيخية ،29 شوال 1432، 27 سبتمبر ، 2011، ص :42-43

شرح قصيدة الحضرة (الجلالة)

" الحضرة نص يمزج في كتاباته بين العربية الفصحى و الدارجة و يتألف من 24 سطرا بعضها يأخذ شكل أبيات مقفاة ، و هي ورد من أرواد الطريقة للذكر التي شيدتها الطريقة الشاذلية و هي جوهرة خالية من البدع دائرة على التسليم والتفويض للخالق عز وجل و هي خلوة الروحية بالذكر – ووقت تأديتها مرتين في اليوم عند الفجر و عند المغرب من طرف كافة أتباع طريقته و هو نص يمثل عملا يكرس عظمة الله يستلهم في جزئه الكبير من الأدعية لنيل عفو و مرضاة الله سبحانه و تعالى[1].

المعنى اللغوي للقصيدة: "يختلف معنى مادة الحضرة بحسب استعماله و تفهم من خلال سياق الكلام يدل مرة على القرب و أخرى على ملازمة وثالثة على شهود و الرابعة على جمع و الحضور ضد الغيبة تقول : حضرة الرجل أي قربه و قوله بمحضر فلان أي بمشهد منه.

المعنى الاصطلاحي: تعني : الحضرة الإلاهية أي القربة، حضور القلب في حال الذكر و يستحق الذكر معنى العبودية الحقة فيصير قريبا من حضرة الله تعالى .

حملت القصيدة أيضا كل ما يحمله القلب من شوق و كل ما يقال عن خالقا ألهم بقدرته فأغرقوا في حبه وعشقه فرأو في ذكره قرب

---

1 - خليفة بن عمارة، السيرة البوبكرية :الجزء الثاني ، السيدي الشيخ الشخصية الخارقة للعادة ، مكتبة جودي مسعود :2047 -2011 ص77

2 - نفس المرجع، ص78

كيفية قراءة الحضرة و ماهي الأذكار التي تلقى قبلها و بعدها :تفتتح الحضرة بقراءة جملة من السور و آيات قرآنية و الصلاة و السلام على النبي صلى الله عليه و سلم نذكر منها : حضور النية – ملازمة الطهارة الحسية وطهارة المكان – استقبال القبلة – فمن بين أذكار التي تقرأ قبلها هي سورة الملك و سورة الكوثر وقوله تعالى " الحمد الله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور " ، و يردد قوله تعالى " إن ربنا لغفور شكور " ثالث مرات ، قوله أيضا " إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه و سلموا تسليما " عشر مرات ، لا إله إلا الله " مائة مرة، " لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم " خمس و ثلاثون مرة و يقال في الأخير " اللهم صلي على الصديق الشفيع البشير السراج المنير سيدنا محمد وعلى آله و صحبه و سلم تسليما "

- ذكر لفظ الجلالة على الشكر التالي " الله ، الله ، الله ، الله " مرتان ثم يقرأ البيت الأول من قصيدة ثم يذكر بعده لفظة الجلالة كما ورد سابقا أما في الختام الحضرة يقرأ دعاء الختم عشر مرات ونصه كالتالي :
- ياالله يا دائم ، يا حي يا قيوم ، لا تجعل فينا لا محروم و لا شقي يا الله
- اللهم ما اجعلنا في الدنيا مهتدين و من حلال مرزوقين
- ومن الحرام محفوظين ومن المعاصي هاربين
- وعلى الطاعة واقفين و بالشهادة ناطقين
- و في الآخرة مرحومين وفي القبر مؤنسين
- و عند السؤال ثابتين و في الحشر آمنين
- و في الجنة خالدين وفي الفردوس نازلين
- و في العليين ساكنين و في وجه الله ناظرين
- برحمتك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين

- وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين و إمام المرسلين و سلام على المرسلين و الحمد الله رب العالمين[1]

المبحث الخامس: وفاته: وفاة سيدي الشيخ

"لا أحد يمكنه أن ينكر أن سيدي الشيخ مارس نفوذا معتبرا و أنه رفع هيبة البوبكرية إلى ذروة ، فبعده لم يتمكن أي أحد من هذه السلالة أن يبلغ صيته ، كان يمثل نموذج رجال الحركة المرابطية و أدى دوره ونجح في مهمته ، لقد كان يمثل أستاذ الكفء مقتنعا و مقنعا الذي علم مئات من التلاميذ فأصبح بعضهم أولياء بين قومهم مثل سيدي خليفة ، سيدي علي بوشنافة و غيرهم ، كما أنه ترك في مخيال العرب الذين عاشوا معه في عهده ذكريات إجلال وعظمة روحيه غيرعادية تركت آثاره عميقة ومستديمة بين الأجيال اللاحقة ، فمهما قيل في تناقضات التي تجاذبت شخصيته هذا المتصوف المتأنق ومهما نسبو له من نقائض، فإن ذلك كله يبقى برهانا على شخصيته مدهشة في كل الجوانب [2]

"توفي سيدي الشيخ عن عمر يناهز الخمس وثمانون سنة شرق جبال القصور سنة 1025 هـ- 1616م في منطقة استيتن ، كما قيل أن 350 طالب من طلابه شيعوا جنازته وختموا القرآن كله يوم دفنه .

فبالرغم من أن سيدي الشيخ قد فارقهم إلا أن روحه مازالت يعتقد بها أنها تضفي إلى مناجاتهم ، وبالتالي فضريحه يكتض بالزوار من كل مكان و كل منهم ما نوى[3]

---

1 أبي حفص الحاج بن عبد الحاكم بن عبد القادر ابن محمد بن سليمان ابن أبي سماحة رحم الله ، حققه : عبد الله طواهرية ن مفتلح الخيرات و مواهب البركات في الصلاة على سيد السادات، منشورات ، دار الأديب ، فبراير 2002

2 خليفة بن عمارة، السيرة البوبكرية :(الجزء 2) ، السيدي الشيخ الشخصية الخارقة للعادة ، مكتبة جودي مسعود ، 2047 -2011، ص115

3 نفس المرجع السابق ص 116.

الفصل الثاني

المبحث الأول: الزيارة والمزارات

1 -**"المعنى اللغوي :** الزور و زيارتك الشيء أي قصدك إياه و تقول: زار الرجل زورا والزيارة بالكسر و مزاَرا بالفتح و أزاره: حمله على الزيارة ،و استزاره سأله اياها و المزار كما يقول يكون مصدرا بمعنى الزيارة يكون اسماً لمكانها و يجمع على مزارات " [1]

2 -**"المعنى الاصطلاحي:** الزيارة في العرف قصد المزور إكراما واستئناسا به وهي تختص بمجيء بعض الأحياء لبعض الموتى مودة ومحبة واستعمالها في القبور للأموات لإعطاءم حكم الأحياء وصار حقيقة عرفية لشيوعه فيها" [2]

"أما الزيارة في **المصطلح الشعبي** وحسب ما أفادني به الشيخ الذي إلتقيت به أن الزيارة في مفهومهم مرتبطة بالأولياء الصالحين طمعا في بركتهم باعتبارهم رجال صالحين اصطفاهم الله من دون عباده ليخصهم بميزات خاصة بهم، وحسب ما قال لي الشيخ أن الزيارة تتحقق حتى تعقد النية الصافية نحو الولي .وعند محاورتي للبواب قال إنه يجب أن تكون لدينا نية صافية نحو الولي و قال لي: "أنوي ما تخيبيش نيتك باش يصدقلك المراد "[3]

طقوس الزيارة:

عند ذهابي إلى القبة مكان تواجد ضريح سيدي الشيخ و أين يذهب الناس لآداء الزيارة و حسب ما قاله لي المقدم أي البواب كما سبق و ذكرت أن الزيارة لا تتحقق إلا بحضور النية الصافية نحو سيدي الشيخ، فالزائر عند دخوله إلى الضريح ينزع حذائه عند الباب و يدخل

---

1 مبارك بن محمد الميلي : أمين مال جمعية العلماء المسلمين ، الشرك و مظاهره ، دار الراية للنشر و التوزيع ، طبعة 01 ، 1422ه، 2001م، ص: 337

2 نفس المرجع و نفس الصفحة

3 الشيخ : معزوزي سي بوبكر ، مدير ملحقة الداخلية بالأبيض ، س، ش ، و شيخ الزاوية

في جو من الهدوء و الاحترام ،ثم يطوف حول ضريحه ثم يتوجه إلى الداخل فنجد ضريح سيدي الشيخ المغطى بالأقمشة ذات رائحة زكية ، فيقرأ الزائر آيات قرآنية ترحماً عليه فيقبلون تلك الأقمشة و يشعلون الشموع و البخور.

و لكل امرئ و ما نوى ،و بعد الخروج من غرفة تابوت أو ضريح الولي الصالح ، نجد المقدم أو البواب و هو رجل كبير يجلس و بجانبه قطعاً من القماش باللون الأخضر و الأبيض فيعطي منها للزوار و بجانبه أيضا صندوقا حيث يضع الزوار فيه النقود و هذا ما يسمى (بالزيارة) بالإضافة إلى أن هناك في الجانب الآخر من القبة توجد غرفة صغيرة جداً فيها رمل كثير يقال أنها (الحِنَّة) يأخذ منها الزائر للبركة أو للتداوي ، كما أنه توجد به بخارة يضعون فيها البخور و أيضا علما أخضر يقال أنه (علام سيدي الشيخ) مع العلم أن كل هذه الطقوس و المراحل التي ذكرتها قد قمت بها داخل القبة برفقة البواب .

أما بالنسبة لأيام أو مواقيت الزيارة فليست محددة بيوم خاص، فأبواب القبة مفتوحة كل أيام الأسبوع لكن مما لاحظته أن أيام الخميس والجمعة تختص بالزيارة أكثر من الأيام الأخرى، فنجدها مكتظة بالزوار لأنها أيام عطلة.

المزارات :

تعريفها : المزارات هي جمع مزار و هو المكان الذي يتوجه إليه الناس قصد الزيارة و التبرك و ذلك لتواجد الأولياء الصالحين بها و قد اكتسبت المزارات قداستها من قداسة أولياءها و هي تنقسم إلى ثلاثة أقسام (القبة – المقام- الخلوة) و سنتطرق لكل واحد منها بالتعريف ليسهل التفريق بينها .

1 -**القبة :** و هو عبارة عن بناء على شكل رباعي تعلوه قبة باللون الأخضر و الأبيض فنجد عند مدخل القبة بابا كبيرا يدخلك إلى غرفة صغيرة يتواجد بها ضريح الولي تكسوه أقمشة كثيرة و مختلفة الألوان لكن يغلب عليها اللون الأخضر تسمى بـ : (العلامات) و يوجد به مقدم أو البواب كما سبق و ذكرت .

2 -**المقام :** يختلف عن القبة أنه لا يوجد به الضريح أو شيء من هذا النوع بل يكتفي ببناء مربع الشكل صغير الحجم يوجد في الجبال أو في الطرق أو نجده في مكان أو وسط التجمعات السكنية و يقال أنه المكان الذي كان يقيم به الولي الصالح في زمنه.

3 -**الخلوة :** هي عبارة عن سياج من الحجارة يبني على مربع أو مستطيل لا تغطيه أي شيء، يبنى في أماكن متعددة و هي تدل على المكان الذي كان يختلي فيه الولي و يتعبد فيها و كما قيل لي أن عدد خلوات سيدي الشيخ كثيرة و هي حوالي مئة خلوة منتشرة حول المنطقة بأكملها و ما يجاورها فعند اتجاهك إلى الأبيض سيدي الشيخ في طريقك تصادف في كل مكان خلوة باللون الأبيض و الأخضر .

المبحث الثاني: رحلات سيدي الشيخ وتأسيسه للزوايا

1 -**زاوية مغرار تحتاني :** "مغرار التحتاني قرية أثرية تحتوي على صخور منقوشة جميلة و خاصة محطة أفقية عجيبة و هو قصر مزدهر سكنه البربر الزناتة ، تحيطه واحة تضم الآلاف من واحات النخيل المثمرة ، كما اشتهرت بتربية النعام إضافة إلى خصوصية مهمة و هي أنه يوجد في طريق المسار قوافل القبائل القوية لحميان و هم عرب الهلاليون ، الذين كانوا ينتقلون كل سنة عبر

الصحراء للتجارة كما كانوا يخزنون حبوبهم (القمح و الشعير) و يودعون سلعهم بمغرار التحتاني هذا الأمر الذي لم يخفى على المؤلفين من أمثال لا مارتينيز الذي قال أن سيد الشيخ جاء للاستقرار بمغرار حيث فكر في مشروع بناء زاوية للتأثير على مختلف مجموعات القبلية ".[1]

1.خليفة بن عمارة ترجمة بوداود عمير ، السيرة البوبكرية ، الجزء الثاني ، سيدي الشيخ ، شخصية خارقة للعادة ، مقدمة الدكتور جلول الصديقي مقدم الطريقة الشيخية الشاذلية بأروبا 2047 ،2011 ، ص 23

هاته المنطقة التي كانت مرتبطة ارتباطا حيويا بالماء فلا قافلة بدون ماء و أراضي الرعي لقطعان الماشية و الدواب هاته المنطقة التي كانت تشكل منطقة عبور ملزمة لجميع المبادلات التجارية اقتصادها الذي يعتمد على الرعي و تربية المواشي و تحويل السلع الأجنبية خاصة القمح التلي و تمور الصحراء المهيكلة على ثلاثة أودية كبير (وادي الناموس –وادي الغربي – وادي سقر)

فلهاته الأسباب سيدي الشيخ اختياره لم يكن اعتباطيا في اقامته للزاوية في هذه المنطقة نظرا أيضا للعلاقة الوطيدة والقوية التي كانت تربطهم بالبوبكريين من جده أبوسماحة وسليمان إلى غاية أبيه محمد كما أن الشيخ سيدي الشيخ لم يكن غريبا على قبيلة حميان لأنه كان كثيرا ما يتردد عليهم هو وأبيه عندما كان شابا وأيضا كانت لديه مناسبات للذهاب في عديد المرات ومنذ عهد بوسماحة وكما أن العلاقات قد ترسخت بينه وبين

الناس في الصحراء وعقب زواجه بإمرة من أولاد سعيد لقورارة وكذلك مما ساعده

على التعريف بالزاوية التي أقامها هناك و ذلك بفضل العديد من البدو الرحل الذين كانوا يتنقلون لمسافات بعيدة فأخذوا يروجون لشهرة الزاوية الجديدة .

" شكل تأسيس زاوية مغرار التحتاني اختبارا على مستويات عديدة على عبد القادر حيث كان يستقبل تلاميذ السكان الحضر الذين كانوا يحتاجون إلى كثير من الاهتمام و على العموم بسبب اليد العاملة كان الموالون يترددون في إرسال أبنائهم للمدرسة القرآنية ، كان يحب عبد القادر التعريف بالزاوية الجديدة و ذلك بمحاولة إقناعهم أن برنامجه مستمد مباشرة مما هو مطبق في الزوايا المغربية يفترض أن لديه مواداً أكثر شرحا ، أيضا كان يجب على عبد القادر أن يعرّف نفسه بصفته مقدِّما ، ابن و حفيد مقدِّم ممثل الطريقة الصوفية الأكثر شهرة في المنطقة متكونا و مدعما من طرف مول السهول أشهر شيخ في الشاذلية بالجنوب الشرقي المغربي ، كما كان يجب عليه ميدانيا نشر دعوة التي كان مدعوا لممارستها عن طريق اللقاءات المتكررة و أيضا يجب عليه تقييم تجاوب القبائل المرتبطة مع عائلته من أجل تعزيز مكانتها للعمل على فرض نفسه كقائد مستقبلي .للبوبكرية باعتبارها شجرة مرابطية كانت تهيمن على الحقل الديني للجنوب الغربي منذ نهاية القرن14م"[1]

أشار مؤلفون فرنسيون إلى بعض الملاحظات بخصوص هذه التجربة بمغرار التحتاني فقد كتب تريملي قائلا: (بأن عبد القادر أسس زاوية بمغرار لأنه لم يتمكن من لفت انتباه تلاميذه واصل رحلاته).

أما بالنسبة للمؤلف جياكوبيتي الذي أخذ نفس المصادر بالأبيض سيدي الشيخ قائلا: (أن تجربة الأولى في الزاوية فشلت في مغرار، تلاميذ لم يكونوا مثابرين و لا كثيري العدد، هل كان ينقصه العلم ، الفضيلة أو الخبرة أم أنه كان يخشى المنافسين ؟ لا نعرف، النتيجة هو أنه شعر بأنه سيكون مضطر إلى اختيار حقل عمل آخر)

و مع ذلك من المفيد الإشارة إلى أنه في حياته لم يتخل عبد القادر عن هذه الزاوية الأولى بمغرار التحتاني و قد أشار تريملي أنه وبعد تنقلاته العديدة في جميع الاتجاهات وحد نفسه في مغرار : ازدحمت زواية مغرار بالزائرين الرحل و سكان القصور : نفس الشيء بالنسبة للروايات الشعبية

الملتقطة بمغرار التحلفي و نواحيه التي كانت تتحدث عن اقامات سيدي الشيخ في هذا المكان و جلساته التحكيمية في فض النزاعات التي تعهد إليه .مهما يكن وجد هذا المعلم المتحمس المكان ضيق جدا فبعد وقت قصير عقب انطلاق هذه الزاوية ، بدأ القلق يساور عبد القادر و أخذ طموحه نحو تحقيق شيء آخر ، فقد عهد الزاوية إلى خدم مكلفين بلستقبال التبرعات ، العابرين المحتاجين وزوار آخرين ، إلى جانب معلم قرآن مكلف بتعليم أساسيات التعليم ، أعطى لنفسه مبررا للدعوة إلى طريقته الصوفية ثم بدأ استعداداته لمشروع آخر.

1نفس المرجع السابق ، صفحة 25

2 -زاوية فكيك:

" فكيك واحة كبيرة تتكون من مجموعة من القصور المزدهرة في مفترق طرق شرق غرب وشمال جنوب، وهي ممر إلزامي للحجاج، المسافرين، طلبة والتجار كانت قطبا اقتصاديا لا غنى عنه في ذلك العهد حيث كانت التجارة البحرية في بدايتها لم تزح بعد التجارة الصحراوية، وهي أيضا قطب ثقافي ذائع الصيت منذ القرن 10م/4ه حيث تزدان المساجد والزوايا العديدة بالكتب والمخطوطات، حيث تنتشر نصوص وكتابات المؤلفين المحليين .

ففي مثلث مساحته 12 كلم مربع تجتمع قصور فكيك السبعة: حمام التحتاني، الحمام

الفوقاني، المغير، أولاد سليمان، أوداغير ، العبيد ، زناقة ، التجمعان السكنيان الأكثر أهمية هما قصر أوداغير معقل الشرفة و المركز الثقافي الرئيسي و قصر زناقة المركز الاقتصادي الرئيسي ".[1]

أنشأ عبد القادر زاويته بالنواحي المحاذية لزناقة في اتجاه أوداغير الذي يقع في الشمال.

الإقامة في هذا المكان تحديدا لم تكن مصادفة : هاذان القصران كانا في النزاع بخصوص مياه عين تزادرت و ذلك منذ القرن 11م /5ه تاريخ وصول النوى الأساسية (الصنهاجة)لسكان زناقة في **عهد المرابطين** ساور عبد القادر الأمل أن يصبح كما كان الشأن بالنسبة لجده حكما بين الطرفين، فجده وضع زاويته تحت رعاية سيدي أحمد بن يوسف ، أما عبد القادر فقد وضعها تحت رعاية شيخه سيدي بومدين (شعيب بن الحسين أبي مدين الأندلسي و هو شيخ الشاذلية)، أطلق عليها اسم العباد و اسم حي بتلمسان أين دفن به ، و أتى بعض المؤلفين المغاربة بأطروحة تقول أن عبد القادر يكون قد أسس الزواية بعد وفاة الشيخ السهلي في سنة 1567م .974 ه غير أن هناك تناقضا حول تاريخ وفاة الشيخ .

1.خليفة بن عمارة ترجمة بوداود عمير ، السيرة البوبكرية ، الجزء الثاني ، سيدي الشيخ ، شخصية خارقة للعادة ، مقدمة الدكتور جلول الصديقي مقدم الطريقة الشيخية الشاذلية بأروبا 2047 ،2011 ، ص 32

لكن في جميع الحالات يسمح لنا أن نحدد إنشاء هذه الزاوية الأولى لعبد القادر بفكيك سنة 1560 بني عبد القادر إقامات بسيطة موجهة أساسا للتعليم و استقبال الزوار و التلاميذ ، و بالموازة مع ذلك نسج علاقات و قام بالعديد من الاتصالات مع علماء فكيك و الذين كانوا يتذكرون جيدا السمعة المعتبرة لجده و كفاءته فكانوا يشجعونه ، غير أن الشيخ اكتشف عداوة خفية لدى العديد من أهل العلم الذين كانوا يخشون المنافسة و كانوا يعتبرونه دخيلا على ميدان التعليم ، كانوا حذرون من هذا القادم الجديد الذي لم يكن متحفظا و كان يلعن بصوت عال و قوي و ظيفته كممثل للطريقة الشاذلية .

"أقام سيدي عبد القادر بغض الوقت في فكيك .....و يظهر أنه لم يكن يروه بعين الرضا و قد تلقى صعوبات جمّة ، و مع مرور الوقت وجد عبد القادر نفسه في مواجهة مشكلين كبيرين يشكلان خطراً على مصير أية زاوية مالم يتم تسويتها ،أو لاً مدخوله القليل حيث لا يمكن للمداخيل البسيطة أن تغطي مصاريف زواية تشتغل بالتوقيت الكامل ، أما بخصوص نشر الدعوة فوجد عبد القادر المقدم نفسه يراوح مكانه لأن سكان فكيك كانوا يعرفون منذ أكثر من نصف قرن الطريقة الصوفية للشاذلية و التي كان يمثلها سيدي سليمان جده و هكذا لم ينخرط فيها إلا القليل منهم"[1]

"باختصار لم تكن هناك مداخيل مهمة ولا تلاميذ ولا مريدين في هذه الزاوية بأعداد كافية هذه الوضعية أفقدت صبر عبد القادر الذي أحس أنه يضيع وقته، وهكذا فكر في اتخاذ قرار آخر وهو أن ينشئ زاوية متنقلة مع ذلك لم يترك فكيك وكما حدث في زاوية مغرار التحتاني ترك زاوية فكيك تشتغل بحدها الأدنى من خلال معلم مكلف على خدمته في الزاوية وبعض الخدم لاستقبال الزوار والتبرعات وهكذا يحوز على مزيد من الشهرة "[2]

---

(1)-(2). نفس المرجع المعتمد ص : 33-34

3 -الزاوية المتنقلة:

كتب نوويل المدعو **ميلاد عيسى** يقول بأن سيدي عبد القادر و بدون أن يتخلى عن هذه الإقامة بفكيك و التي كان كثيرا ما يعود إليها ، حيث عاد من جديد إلى الحياة البدوية و كوّن زاوية أصبحت مهمة و مزدهرة ،كان يستقبل عدداً كبيراً من الزوار، الأتباع و الحجاج ، عبد القادر كان معتاداً على التنقلات غير أن هذه المرة يوجد اختلاف مهم : سوف تكون هناك تعديلات في النمط عيشه المعتاد ، رحب بهذا التعديل بسبب ميله الشديد للحياة ضمن الأجواء الواسعة و الآفاق المتغيرة ،من قبل كانت الفترات التي قضاها بمغرار قرب الشلالة و فكيك أطول من فترات التنقل هذه ، من الآن فصاعدا سيحدث العكس سيعيش عبد القادر بدويا أكثر من حضريا و سيتجاوز تحركاته تحركات البدو أنفسهم الذين و منذ الأزل يعيشون في نسق ثابت لا يتغير : الإمتداد الواسع للرعي يتنوع بالتأكيد حسب أهمية القبائل و أراضي الرعي (الرعي المحدود أو الموسع)غير أن هذه القاعدة العامة يتم اتباعها غالبا كما يلي : في الربيع تقيم القبيلة في خيمها و أراضيها التقليدية ، في الصيف تنتقل قطعان الماشية المتكونة خاصة من الإبل و الغنم من طرف بعض الجماعة للتصييف بالشمال

على تخوم التل ، في الخريف يتم العودة إلى التخييم التقليدي ، في الشتاء تقاد القطعان الماشية للرعي بالجنوب على طول حوافي وادي الناموس أو الوادي الغربي .

أما بالنسبة للمبادلات التجارية ينتقل البدو الرحل المكلفين بهذه العمليات خلال الصيف إلى الشمال (أسواق تلمسان ،سيدي بلعباس ،أو معسكر) لبيع مواشيهم و بضائع أخرى مثل (الزبدة ، جلد ، الصوف و يشترون الحبوب ، الزبدة و ليشتروا التمر ، حناء ، توابل التبغ ، البارود)و بضائع أخرى غربية من افريقيا الوسطى .

و بهذا فالشيخ عبد القادر أو السماحي كما شُرع في تسميته، بدأ يسطع نجمه في الجنوب الغربي، ثم تدريجيا توسّع حقل نشاطه نحو الجنوب، ثم شمال و الشرق.

في الجنوب كان ينتقل شتاءً مع القوافل التي كانت تتبع وادي الناموس أو تلك التي كانت تتبع وادي الغربي لينتهي به المطاف إلى قورارة ، المنطقة الغربية لتيميمون أو قصر بتلكوزة ففي أثناء سيره و بمجرد وصول القوافل يستقبل أناساً من طبقات اجتماعية مختلفة ، أعيان الجماعة و شيوخ الدين المحليين ، كان يقدم محاضرات يؤم الصلاة ، يسجل التلاميذ الراغبين فبي مزاولة الدروس تحت الخيمة ، يشرح معاني الطريقة الصوفية التي يمثلها ، يجتذب المريدين و يعيّن المقدمين ....هكذا أصبح شيخ البوبكرية بعد مدة مشهوراً بتيميمون و في قورارة و المنطقة كلها ، بتوات و بمناطق أخرى بعيدة في الصحراء الوسطى

1 -وأما في الشمال كانت زاوية الشيخ المتنقلة ترافق قوافل (نهاية الربيع والصيف) قبائل الجنوب الغربي الذين كانوا يتنقلون إلى أسواق تلمسان، سيدي بلعباس ومعسكر أو الذين يقومون بتصييف القطعان ماشيتهم في مناطق أخرى بالتل .

كان يوافق على التلاميذ الراغبين في متابعة تعليمهم أوسع الشيخ أفقه بالشرق، فقد أقام بعين ماضي ثم بعد ذلك ينتقل عبد القادر نحو قصر تاجموت حيث سيصبح أحد أحفاده وهو سيدي عطا الله ولياً صالحاً فيما بعد

أن تنتهي مع منطقة الأغواط يواصل الشيخ رحلته على طول الأطلس الصحراوي و يصل إلى غاية جبل الزاب شرق بسكرة.

و كما هو الشأن بالنسبة لأي مؤسسة دينية ، كانت للزاوية كمهام أساسية ،التعليم و الأعمال الخيرية ، الهال ضروري لتسييرها يأتي من الهبات نقداً أو عينيا و التي تقدمها القبائل التابعة و المرتبطة عاطفيا أو دافع أمني مع البوبكرية ، بالنسبة للخيمة الواحدة إجمالا: جدي أو خروف أو نعجة ، مقدار من الدهان (الزبدة) مقدار من الشعير أو تمور وكذلك جزة و جمل بالنسبة للدوار أو العرش ، و هذا كله خارج هبات الأراضي ، النخيل ،البناءات ، الكتب أو أثاث آخر ، التبرع(الزيارة)و يكون مبدئيا محداداً من طرف الواهب ، إلا أنه سينتهي مع مرور الزمن إلى الخضوع لقاعدة ضمنية ، و هو ما كان يسمح للزاوية بالاعتماد على مدخول منتظم و مهم ماديا علاوة على أن هذه الزاوية ومن خلال خدمها كانت

لها الحرية في استثمار أموالها و ذلك باللجوء إلى الصفقات التجارية (كراء الأراضي الفلاحية، بيع منتوجات النخيل، بيع و شراء المواشي ....).

و مع ذلك كان للزاوية مصاريف معتبرة لأنها كانت ملزمة بالتكفل بالطلاب مريدي الطريقة، (الزوار، عابري السبيل، المحتاجين، المرضى ....)و كانت تزودّ مجانا طيلة اليوم و بوفرة التمور ، الحليب ، الخبز ، الكسكس المجهز باللحم .

وفي الأخير وبعد أن كانت متواضعة في البداية ، انتهى الأمر بهذه الزاوية المتنقلة حسب العديد من الروايات إلى أن تأخذ اهتماماً كبيراً و هكذا سيفضل شيخ البوبكرية هذه الزاوية المتنقلة عن أي مكان مستقر و أخذ يستعملها حتى نهاية حياته.

4 -**زاوية الأبيض سيد الشيخ:** يبدو أن عنصرين اثنين أحدهما ديني و الاخر اقتصادي، هما اللذان قادا الشيخ عبد القادر إلى اختبار الأبيض (الأبيض سيدي الشيخ) حيث كانت توجد به آبار على ساعد الوادي الغربي جنوب الربا 25 كلم في كونها تتواجد على ضاية واسعة شديدة الرطوبة و تمثل خط انطلاق القوافل المشكلة من طرف جميع قبائل هذه المنطقة الشمال الشرقية و التي كانت تسلك هذا الوادي.

و مع ذلك قرر الشيخ عبد القادر الإقامة في حاسي الأبيض و ذلك بنصب خيم زاويته المتنقلة ، ابتداءً من هذه اللحظة كتب " تريملي " يقول " شرع حقيقة في انجاز العمل الذي قرر تجسيده ، فقد أسس زاوية بالأبيض و هي زاوية صارت أكثر شهرة في هذا الجزء من الصحراء و إلى أبعد ، و قد كان المنخرطون يتسارعون حشودا للإصغاء لكلمة الشيخ"[1].حيث تفطن إلى النتائج المثمرة من وراء إقامته في هذا الموقع وهو مكان عبور لجزء كبيرمن المبادلات التجارية بين المنطقة الوهرانية والصحراء وانطلاق خط مركزي (وادي الغربي) للمسارات الثلاث لقوافل المنطقة، و هذا يخص جميع النشاطات الاقتصادية للقبائل الرحل لهذا الجزء من الأطلس الصحراوي (البو بكرية ، أهل ستيتي ، عكرمة ، أولاد زياد الزاينة ، دراقة ، أولاد عبد الكريم ، أولاد سرور و جزء من الأغواط كسال من بينهم أولاد مومن و الرزيقات....)

إلى جانب القصور والمجاورة مثل ، الوبا الفوقاني ، الوبا تحتاني ، الهنود ، بوعلام ، بريزينة ، الغاسول ، الكراكدة ، سيدي طيفور، ستيتن ، سيدي الحاج بن

عامر ....

و هو ما سيزمي بشكل جوهري مداخيل الزاوية بفضل التبرعات العديدة ،أخذ عدد الزوارو العابرون و مريدو الطريقة في تزايد و كذلك تلاميذ مختلف الأصقاع الذين كانوا يأتون لمتابعة تعليم الشيخ و لمدة طويلة و بعد مدة كان الشيخ مضطراً إلى انجاز بناءات تسمح له باستقبال كل هؤلاء الناس و هكذا تحولت مؤسسة حاسي الأبيض إلى الزاوية الأم لسيدي الشيخ و بقيت كذلك إلى يومنا هذا.

المبحث الثالث: أسباب ظهور الزوايا

الزاوية هي مؤسسة روحية دينية وإجتماعية وهي ثلاثة أنواع :

1 -**الزاوية المركزية:** يرأسها شيخ الزاوية
2 -**الزاوية الفرعية :** يرأسها مقدم الزاوية بأمر من شيخ الزاوية
3 -**الزاوية الحرّة :** يشرف عليها مالكها و هو حرٌّ يتحكم بها .

- ظهرت الزوايا في الجزائر منذ القرن15 م حيث كانت الجزائر قبل الاحتلال تعج بالزوايا و قد انتشرت في الأرياف و الجبال و المدن و كان من بين أهم أسباب ظهورها : أنها جاءت كرد فعل على حروب الصليبية و الاستعمارية و ذلك للحفاظ على التراث الإسلامي و المقومات العربية الإسلامية و في عهد الاستعمار الفرنسي لعبت الزوايا و الطرق الصوفية دوراً ايجابيا في مواجهة الاستعمار و كان العمود الفقري هو العامل الديني في المحافظة على الوحدة الوطنية و القيم و التعاليم الإسلامية . و من هذا المنطلق فالزاوية الشيخية لعبت دوراً هاماً في محاربة الاستعمار الفرنسي و القوة الصليبية في المحافظة على وجودها و مساهمتها في تنشيط الحياة الاجتماعية و الثقافية و الدينية و الجهادية . الزاوية الشيخية نسبة إلى الولي الصالح سيدي الشيخ الأب الروحي لعائلة أولاد سيدي الشيخ ، هي الزاوية المركزية و الزاوية الفرعية .

في كل منطقة يتواجد فيها المريدون منها زاوية الموحدين بولاية **البيض**، زاوية **السخونة** بولاية **سعيدة** ، زاوية متليلي عند شعابنة بولاية **غرداية** ، زاوية سيدي سليمان بن بوسماحة في **بني ونيف** ، زاوية **عين الصفراء** ، زاوية قلعت شيخ بوعمامة ، مغرار تحتاني ، زاوية عين البني **بالمغرب الأقصى** .

1.خليفة بن عمارة ترجمة بوداود عمير ، السيرة البوبكرية ، الجزء الثاني ، سيدي الشيخ ، شخصية خارقة للعادة ، مقدمة الدكتور جلول الصديقي مقدم الطريقة الشيخية الشاذلية بأروبا 2047 ،2011 ، ص 42

كل هذه الزوايا قد شاركت في المحافظة على الهوية الوطنية و بذلت جهد كبير في محافظة على اللغة العربية، و تعليم القرآن الكريم و تنشر تعاليم الدين الإسلامي

و حث الناس على الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي، و بهذا استمد الشعب الجزائري ثقافته الروحية و إيمانه العميق ووحدة الدين ووحدة المصير، فقد توارثت الزاوية الشيخية بعد وفاة مؤسسها الأبناء و الأحفاد و هذا حسب درجة علم كل واحد منهم، و هذا التواصل نتجت عنه الاستمرارية للمنهج الديني و الصوفي، كما ساهموا في انتشارها داخل و خارج الجزائر و جمع أكبر عدد من المريدين و المحبين و عملت على توحيد القبائل و انطاؤها تحت راية زاوية الشيخ و قيامها على محاربة الاستعمار الفرنسي[1].

1هاته المعلومات زودني بها الشيخ : معزوزي سي بوبكر أثناء التقائي به في الزاوية بالأبيض سيدي الشيخ.

المبحث الرابع: العادات والتقاليد في الأبيض سيدي الشيخ :

1 - **الركب :** هو الجمع الغفير المتنقل من مكان إلى مكان و يسمى بالركب و يقام هذا الموسم في بلدية الأبيض سيدي الشيخ حيث يوجد ضريح الولي الصالح سيدي عبد القادر بن محمد الملقب بسيدي الشيخ و يقال أن هذا الموسم هو أقدم موسم في المنطقة الجنوبية الغربية و حسب الروايات أنه بدأ في القرن 19 ،و من أسباب نشأته ثلاثة أراء هي:

الرأي الأول : (الوعدة) أصلها من الوعد

فسيدي عبد القادر هو عالم من علماء الصوفية و شخصيته مجاهدة كان خلال حياته مرجعاً للراغبين في الاستزادة من ذات العلوم الدينية لذا كان يجيئه الناس من كل ناحية يطلبون حاجتهم من ذات العلوم وكانوا يأتونه محمّلين بالهدايا و أصناف الأطعمة و الأنعام (أغنام ، الماعز...) ليزود أبنائهم بالمعرفة و تعليم القرآن الكريم و العلوم الشرعية هذه الأعمال تحولت بعد وفاته رحمه الله تعالى إلى مناسبة تسمى **بالوعدة** ثم سميت **بالركب**.

الرأي الثاني: حكاية الرجل المريض:

هي مناسبة قديمة منذ أن كان سيدي عبد القادر على قيد الحياة ،و شيخ قبيلة ستيتن كان مريضا بمرض استعصى عليه علاجه فلجأ إلى سيدي عبد القادر قائلا له : إنني أتعهد أمامك أيها الشيخ لو دعوت لي بارئي و مصوري كي يشفيني و إذا شفيت لأجعلن **معروفا** سنويا لك ، و بالفعل شفي الرجل بإذن الله و أضحى ذلك الوعد **ركب سيدي الشيخ** من طرف قبيلة ستيتن .

الرأي الثالث : منطلقها الصوفي:

يوم وفاة سيدي عبد القادر بن محمد جاء لتشييع جنازته الطاهرة حوالي 350 طالب من طلبته و بعد عملية الدفن قرأ الطلبة 60 حزبا على روح الشيخ في ليلة (ختم القرآن كله **السلكة**)

و منذ ذلك الوقت اعتاد ركب ستيتن إحياء ذكراه كل سنة بهذه الطريقة الصوفية .

لعبة الفروسية :

الاستمتاع بلعبة الفروسية (**العلفة**)في بطحاء ديارلالة ربيعة في ملعب ساحة سيدي الشيخ وتتمثل لعبة الفروسية في جمع العديد من فرق الفروسية وأحيانا قد تصل ثلاثين و أكثر من ذلك الفرقة تلوى أخرى و إطلاق البارود من أفواه البنادق دفعة واحدة.

الفروسية هي جمع من الفرسان عددهم من 8 إلى 10 أو أقل كل فرس يمتطيه فارس بلباس مميز من نوع تقليدي وطابع صحراوي ويحمل بندقية ،تتوافد الفرق الفروسية من كل ناحية على مناسبة ركب سيدي الشيخ للعب فب ميدان اللعب صباحا ومساءا طيلة فترة أيام الركب و التي قد تكون من ثلاثة إلى أربعة أيام.

الألعاب الفلوكورية :

هي فرقة فلوكورية متنوعة الأشكال والألعاب بما فيها الموسيقى الشعبية والرقصات الفلوكورية وهذه المظاهر الترفيهية جميعها تعتبر دخيلة في مثل هذه المناسبات الشعبية المتمثلة في **الوعدة** أو **الركب** باعتبار أن المنطلق الأصلي هو منطلق صوفي بعيد عن المفلاة غير المندرجة في الطرق الصوفية

رقصة الصف :

هي عبارة عن مجموعة من النسوة يرتدين ألبسة تقليدية بحيث يمسكن بعضهن البعض من الأحزمة في صف واحد ،وعلى صوت الطبل والقول المأثور عن النساء عامة من التراث الشعبي بالمنطقة ، بحيث يتمايلن يمينا ويسارا وكما هو في كيفية التغني به باللّحن المتعارف المتواتر في المنطقة ،هذه هي رقصة الصف الخاصة بالنسوة.

ملحق الأشعار والقول

نماذج من الأشعار الشعبية و القول الذي قيل في مدح سيدي الشيخ :

قصيدة في مدح سيدي الشيخ للشاعر " الحاج محمد صديقي":

نَبدىَ بِسم الله فالكْلامْ اعْلَى مولاناَ

يا رفيعْ السما ابْلاَ ارْكَايِز عالي الدرْجَات.

حَبْنَا لَكْ لعْرَج بوعْلام ابْجاهو كونْ امْعانا

مُولى بقْدادْ اتْقيتْني اتهوَن لي ويْن اقْديتْ.

عَزَكْ رَبي و عْطاك يا والي كَرْمكْ مُولانا

مَنْ ينْدهْ بيكْ اتْقيتْ فضْلك عندك كَرْماتْ.

أَ سيْد الشِيخْ انْت اتْعينَّا عنْدكْ لاتنسانا

قِيتْ اولادكْ يا فارس لمْشالي قُطبْ السّاداتْ.

ينْده بيكْ اللّهُوَّ ابْعِيدْ أُوفيك اخْصايل بايْنا

من كُلْ ابْلاد اتْجيكْ شيخْ ناجح مُولى خَصْلاتْ.

شايَعْ في كُلْ ارْكانْ منْ افْعالكْ عَزَّكْ مولاناَ

عندك تاريخ اكْبيرْ فالكْتوُبْ امسجَّلْ خَزْناتْ.

خْدْمتْ رَبي ديما اتشيْع ماهِي كِي النَاسْ الخَايْبة

كذا منْ واحدْ قَرْتوُا اداتَهْ فالْوقْتْ امْشَاتْ.

أَبوُ نادْمْ انْوصّيكْ كوُن فايقْ و افْهم لمْعاني

و تَبَعْ مَا قَال الله فالكْتوُب أوصَلِي لَوْقاتْ.

سَلَّم لأَهلْ التَّسليمْ لا تَّبَع رَايْ الكَيْهانة

أو بَعَّد حِسْ البَاروذْ راهْ يدِّي للهالِكاتْ.

رَحْلْ البَيْضَا سُلطانْ رَاهْ نُورَه اقْوس رَهَّانا

يَهْدوُ لهْ لَعْياذْ امْحَصنة و جْمالْ عَفْواتْ.

بَحرَهْ فايضْ فوق لبْحور عَنْدهْ لَرْزاقْ امْكونا

أو يَعْبَد ربِّي فاصْفَا إيقوِّي فالْحَسَنَاتْ.

وُلْدْ الصديق خْليفْةْ انْبِي باسُلْطَانْ أوطانَّا

مُولى سبْعَة زَيْن لقْبابْ القُطْبْ مِيرْ السّاداتْ.

امْلَكْنِي حُبَّكْ جَا اصْعِيبْ قَيَّبْ لَحْوَلْ ما جَانَا

نِيْف اعلينا بَيَّن اخصايلك لا تقفلشْ ابْطيْت.

نّتوسَل بِلّه بيْك لا تْخيَّبْ لَيْنَا ما قُلْنَا

ابْجاهكْعَنْد المَولى اقْريبْ حَبَّكْ رَبْ العَزّاتْ

فوتني يا سيدي ابْحُرْمْتكْ في وعْدك نْستَنَا

أوكُلْ انْهارْ أوليْلْ في اتْفَاقَكْ نَرْجَى مَا جِيْتْ.

كُلْ احْبابَك يْتْكلموا ابْنسْبك ويْقولو سِيدْنا

عزَّك مُول القُدرَة أو خالِقْ الدُّنيا بيه اسْعيْتْ.

يا ربي يا سْميعْ ياعالْم بِلّي هي كايْنة

ارْحَمْ موُلْ الكلْمة و اقْفرْ اذْنوبَه فَالحياةْ.

حضَّرْ لَهْ لَيْمانْ و اشْهادَة يتْوسَّد لَيْمنه

و اجْعل لَّهْ فالجَنَة امْقامْ يَا سْميعْ الدُعاتْ.

و ارْحَمْ اجْميعْ المُسلمين ابْجَاهَك يَا مَوْلانَا

أو نَرْجُوا رِزْقكْ اوعَفوكْ كَانْ نُبْتْ اعْلِينا ارْضَيتْ.

أَخْتَمْ هَاذْ الكَلْمة فاثلاثة أو ستين امْقَونَّه

يَوْمْ الجَمْعَة وَقْتْ ازْوال كَمَلتْ بعْدْ الصَّلاة.

و خْتَمْها باصْلاة اعْلَى اشفيع الأمَّة

سِيدْنا مُحمدْ نَبينا نُورْ ضاويْ دَايمْ لَوقاتْ.

مقاطع من القول التي قالتها نسوة في الأبيض سيد الشيخ مدحا للولي الصالح سيدي الشيخ:

1- زين لَقْبابْ :

يَا تَهْوالِي ... راهْ هاضْ عْليَّا زَيْنْ لَقْبابْ.

يَا تَهْوالِي ... أصبَحْ رَحْلْ البَيْضة يقْنِي لفْقيرْ.

يَا تَهْوالِي ... إيصَبْحو فالياقوتة قايْمينْ.

يَا تَهْوالِي ... مْعَ لعْشِيَّة فِالحَضْرَة واقْفِينْ.

يَا تَهْوالِي ... في انْهَار الجَمعَة خَالَقْ أَزْهِيرْ.

يَا تَهْوالِي ... كلُ مَجدوبْ عْلى شَيْخَهْ إيتُوبْ.

2- يا هوالي بَابهْ قَرْبِي:

يا هوالي بابه قَرْبي أْتْزُورْ منَّهْ لَرْكابْ.

وَاشْ درتْ لك حتى أتْجافِينِي واشْ راهْ منوِّيكْ.

جبت لَكْ مُولانَا و الصَّالحِينْ و رْجالْ أتواتْ.

جبت لَكْ بنْ عبد الرحمنْ ذاكْ شيْخَك تبقيهْ.

أولاَدَه فِالفَرْعَة بَانْيينْ لِلِي مَغْبونْ.

زِيَّارْ سِيدي مِنْ كُلْ بْلادْ جَايّا للسلطانْ.

الشاعر المجاهد : الحاج محمد الصديقي، قصائد الوطن و الروح ، الشيخ قدور بن علية، الصفحة 70-71-72.
تم نظم هذه القصيدة سنة 1963.

3- أدّي عُنواني:

أدّي عُنواني يَا لْحُرْ بَنْ النّيليّهْ الْيَوْمْ.

أتعيْد أخْبَاري في انْهارْ الجَّمعة قَبْلْ ازْوالْ.

راني عطْشانَة ابْقيتْ نَرْوى منْ حَوْضَكْ يالشيخْ.

راني فرْحانَة أمْنينْ شَافتْ عَيْنِي ذوكْ أطْيورْ.

حَبَّه مَولانا أوزاد لَهْ فالدَّرجَاتْ العَالْيينْ.

- وقفات في ثنايا المقطوعات:

1- الوقفة الأولى: مقطوعة " زين لقباب" :

"(يا تهموالي) ، هكذا تستهل هذه الوَلْهى مقطوعتها ، بهذه اللازمة ، شاكية كل ما اعتراها و كأنها آخذة بمبضع تشريح لكل ما يعتمل في قراراتها و بدون تريث و لا حتى توطئة، تبادر الى التصريح بأن (زين القباب) ، الذي هو بالطبع مالك أقطار نفسها (سيدي الشيخ) ، قد (هاض عليها) خطر ببالها على حين غرو من أمرها ، هزّ كيانها جميعه ، فلم تلبث ان تذكر ببعض سجاياه ، وما يأتيه مريدوه من سلوكات في محيط و جنبات ضريحه . انه يعني لها صاحب الناقة البيضاء (رحل البيضاء) المرتحلة به أنّى شاء ، يمكن اتبار المقطوعة ومضة واحدة، شحنة نفسية غير شاردة ، بل كتلة من الشوق العاكس لمدى الهيام ، فالأمر سيان لدى هذه الأخيرة ، ان كانت قريبة أو على بعد أميال من مكان تواجد محبوبها معقل الفؤاد(دفين الضريح) ، انه معها في اليقظة و الحلم، قد ينتابها في أية لحظة"[1] .

2- الوقفة الثانية : مقطوعة "يا هوالي بابه قربي":

"(يا هوالي)، لنها عبارة بدت في ادراكها عاكسة للتصوير الأمثل لعظمة الأمر ، للزلزال الذي يميد أرضية أحاسيسها ، وهي ترمق بأم العين تدافع المريدين على باب الضريح ، الواقع الى جهة الغرب (بابه قربي) لتستدرك و كأنها جرحت سيئة تستدعي استجداء المغفرة (واش درت لك حتى اتجافيني) ما الزلة؟ ما الذي اقترفت في جنبك يا سيدي الشيخ لتصد عني؟ لتهجرني؟ (واش راه منويك) ما هي دوافع غضبك مني ؟ لتواصل وهي في حالة حسرة بينة ،كما أنها لم تنسها لحظات التزلف تلك ، أن تعيد الى أذهان الصاغين أن لسيدي الشيخ عقبا (أبناء) ، ماثلة أضرحتهم في محيطه (في الفرعة) هم على خطى والدهم ، لتُقر وهي واثقة مما تقول أن كل ما يتراءى لها من زائرين انها هم طلاب غاية واحدة ألا وهي المقابلة الروحية لسلطان زمانه و الأزمنة اللاحقة و المنطقة".

الشيخ قدور بن علية / جمع و تقديم ، وقال نسوة في المدينة(نماذج من التراث النسوي الشفهي)، دار الغرب للنشر و التوزيع 1997، 1998 الصفحة 26-27.

[1] نفس المرجع السابق الصفحة 30-31.

3- الوقفة الثالثة: مقطوعة "أدي عنواني":

"مبلغ الظن أن هذه المرأة ، المكتنزة شوقا، سيدة مقعدة عن الحركة ، بفعل تآكل عمرها ، فلم يكن بمقدورها السعي راجلة أو مقلة لوسيلة كي تحل بـ: "الأبيض سيدي الشيخ" ، غير انها تذكرت المهمة النبيلة للحمام الزاجل ، المتمثلة في نقل البريد ،قد رمقت ذكر هذا النوع من الطيور و هو يحلق غير بعيد عنها فإرتأت ان تستعطفه و تحمله شحنة عواطفها، ليتأبطها و ليَعْبُرَ بها تلك المسافة ، على جناح السرعة."[1]

[1]نفس المرجع السابق ، الصفحة 34.

الخاتمة

الخـــــــاتـــــــــــمة:

ان سيدي الشيخ "عبد القادر بن محمد" ما هو إلا بشر عبد ربه و تقرب اليه بالعبادات و النوافل، فكان رجلا صوفيا فلا نستبعد ان كان الله عز وجل قد منحه كرمات ، لأن من أحبه الله سخر له الكون ، الى أن جاءت الحكايات الشعبية فضخمتها و حولت المعقول الى اللامعقول و العادي الى مقدس و بدلا من الاقتداء بالطريقة الشيخية كعبادة ربانية ظاهرة حولت قبته الى قربان يتقربون به الى الله في حاجياتهم فصار من يحبه مشرك عن جهل مادام يستغيث به كمنقذ و نسوا أن سيدي الشيخ شخص مثلهم عند ربه، اننا لا نريد ان نشن حربا على الخيال الشعبي أو على موروثنا الثقافي و لكن يجب علينا ان نلقي الضوء على كل الجوانب السلبية منها و الايجابية لأن سيدي الشيخ ما زال رصيده الاجتماعي قائما ، تحج له وفودا من الناس عند كل شهر تقيم له وعدة السنوي " الركب" الذي يمتزج بالمعتقدات الخفية التي يصعب على الباحث ان يصححها لأنها مكنون في اعماق و في نفوس شعبه انه بالنسبة لهم ليس شخص و لكنه رمز ، انه ليس اختيار و لكنه مير السنين الذي امتزج بالحقيقة و الخيال ، بالاعتقاد و الدين ، بالمعقول و اللامعقول و لكن لن يجرؤ لأحد ان يفصل بين كل هذه المتناقضات.

فلقد ترك سيدي الشيخ في مخيال العرب ذكريات اجلال و عظمته روحية غير عادية تركت آثار عميقة و مستديمة بين الأجيال اللاحقة ، فلا أحد يمكنه ان ينكر ان سيدي الشيخ مارس نفوذا و انه رفع هيبة البوبكرية الى الذروة ، بعده لم يتمكن أي أحد من هذه السلالة ان يبلغ صيته فمهما قيل في التناقضات التي تجاذبت شخصية هذا المتصوف المتألق و مهما نسبوا له من نقائص ، فإن ذلك لله يبقى برهانا على شخصيته مدهشة في كل شيء.

و في الأخير نرجوا من المولى عز و جل أن يكون هذا البحث المتواضع في حقيقة هذا الولي الصالح سيدي الشيخ و تجلياته و آثاره في التراث الشعبي في منطقة البيض حافزا لرمي خطوة ثانية و ثالثة في هذا الميدان الذي لا يزال الى وقتنا هذا قائما بذاته ، وكما نرجوا أن نكون ان شاء الله قد سافرنا معكم في رحلة مباركة عبر صفحات هذا العمل في خطى الشيخ عبد القادر بن محمد.

و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم ألف صلاة و ألف سلام الى مالا نهاية له من الصلاة عليه و السلام كما لا نهاية لكمال الله و عد كمال سيدنا رسول الله أفضل الأنام.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

لقد اعتمد في هذه الدراسة على الدراسة الشعبية الميدانية ، كمصدر واحد ، حيث قمت بإجراء بعض المحاورات مع الفئات الشعبية، جمعت من خلالها نصوص شفوية التي تناولت هذه الشخصية دون أن استثني "الشيوخ و العجائز.." و كم كنت محظوظةعندما ذهبت الى قبة سيدي الشيخ و تقصيت طقوس الزيارة بنفسي ، كما كانت لي لقاءات مع شخصيات مهمة و هي السيد: الحاج زاوي الطيب : شيخ و مدرس بزاوية الأبيض سيدي الشيخ.

السيد: بكارة البشير : باحث في منطقة البيض.

- كتاب : ابي حفص الحاج بن عبد الحاكم بن عبد القادر ابن محمد بن سليمان ابن ابي سماحة، حققه: عبد الله طواهرية مفتاح الخيرات و مواهب البركات في الصلاة على سيد السادات ، منشورات دار الأديب، فبراير 2002.
- كتاب : السيرة البوبكرية (الجزء الثاني) سيدي الشيخ شخصية خارقة للعادة ، خليفة بن عمارة ، ترجمة بوداود عمير ، رقم الايداع القانوني 2047-2011.
- كتاب : الشاعر المجاهد الحاج محمد الصديقي، قصائد الوطن و الروح الشيخ قدور بن علية ، دار القدس العربي 2016.
- كتاب : القيم الروحية و الرؤية الوطنية في الطريقة الشيخية ، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف 1432هـ ، 2011م.
- كتاب : بلغة المحتاج ، طواهرية عبد الله، منشورات دار الأديب.
- كتاب : رسالة في الشرك و مظاهره، مبارك الميلي ، الطبعة 3 ، نشر دار البحث لطباعة قسنطينة –الجزائر.
- كتاب : وقال نسوة في المدينة(نماذج من التراث النسوي الشفهي) جمع و تقديم الشيخ قدور بن علية ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، الايداع القانوني 1733-2003.

البحوث و المذكرات:

- شريط فيديو خاص بتأثير الولي الصالح بمنطقة الأبيض سيدي الشيخ.

- صور فوتوغرافية خاصة بمنطقة الأبيض سيد الشيخ و مكان ضريحه.

- مذكرة سيدي الشيخ بين الواقع و الخيال للطالبة: بحوصي عائشة ، ليسانس علم الاجتماع وهران ، دفعة 1999-2000.

- مذكرة: الولي الصالح سيدي الشيخ و أثره في التراث الشعبي، للطالبتان : بغدادي سعاد و بوعشرية مختارية، ليسانس الأدب العربي سيدي بالعباس، دفعة 2002-2003.

- مذكرة: تجليات سلطان الأولياء عبد القادر الجيلالي في التراث الشغبي بمنطقة البيض، للطالبة : تلي سامية، دفعة 1999-2000.

الفهرس

الفهرس

الفهرس

العنوان **الصفحة**

مقدمة

تمهيد 05

خريطة.....05

الفصل الأول: حياة الولي الصالح سيدي الشيخ 06

المبحث الأول:

نسبه 06

مخطط لشجرة الأصل

مولده 07

المبحث الثاني:

أسماؤه 08

أولاده..... 12

مخطط لأولاد سيدي الشيخ 13

المبحث الثالث:

تعليمه (دراسته) 14

جدول المشايخ و الفقهاء ..... 15،17

المبحث الرابع:

آثاره 18

قصيدة الياقوتة .....19،28

شرح الياقوتة .....29،31

قصيدة الحضرة .....32،33

شرح قصيدة الحضرة 34

المبحث الخامس:

وفاته 36

الفصل الثاني: مظاهر التراث الشعبي التي خلفها الولي الصالح يسدي الشيخ :

المبحث الأول:

الزيارة و المزارات 37

طقوس الزيارة.....37

المزارات 38

المبحث الثاني:

رحلات سيدي الشيخ و تأسيسه للزوايا 39

زاوية مغرار التحتاني 39

زاوية فكيك 42

الزاوية المتنقلة.....44

زاوية الأبيض سيدي الشيخ.....46

المبحث الثالث:

أسباب ظهور الزوايا.....47

المبحث الرابع:

العادات و التقاليد في منطقة الأبيض سيدي الشيخ.....49

الركب و الوعدات.....49،50

ملحق الشعر الشعبي و القول

قصيدة في مدح سيدي الشيخ.....51

نماذج من القول النسوي.....54،55

وقفات في ثنايا المقطوعات.....56،57

الخاتمة.....58،59

ملاحق الصور

قائمة المصادر و المراجع.....60،61

الفهرس.....62